الباب السادس

ملحقات

المبشرون والمستشرقون وموقفهم من الإسلام

- المبشرون والمستشرقون وموقفهم من الإسلام.
- المستشرقون المعاصرون.
- المتطرفون من المستشرقين.
- بعض الكتب المتطرفة.
- كتاب «مجد الإسلام» لجاستون فييت.
- المستشرقون الناطقون بالإنجليزية ومدى اقترابهم من حقيقة الإسلام والقومية العربية.

obeikandl.com

obeikandl.com

المبشرون والمستشرقون وموقفهم من الإسلام

مقدمة:

إذا كان من دواع استقرار الحكم الوطنى فى مصر الحديثة الثائرة عزل عملاء السياسة وإبعادهم عن الحياة السياسية، فإن من صالح قيادة الأمة -كشعب موحد الاتجاه. قوى فى أحاسيسه المشتركة- أن ينحى عملاء التبشير والاستشراق من جوانب التوجيه العام سواء فى التثقيف. أو النشر، أو الصحافة أو الإذاعة.

إن عملاء التبشير والاستشراق -وهم عملاء الاستعمار فى مصر والشرق الإسلامى-هم الذين دربتهم دعوة التبشير على إنكار المقومات التاريخية والثقافية والروحية فى ماضى هذه الأمة وعلى التنديد والاستخفاف بها. وهم الذين وجههم كتاب الاستشراق إلى أن يصوغوا هذا الإنكار والتنديد والاستخفاف فى صورة البحث، وعلى أساس من أسلوب الجدل والنقاش فى الكتابة أو الإلقاء عن طريق المحاضرة أو الإذاعة.

إن التبشير والاستشراق كلاهما دعامة الاستعمار فى مصر والشرق الإسلامى، فكلاهما دعوة إلى توهين القيم الإسلامية، والغض من اللغة العربية الفصحى، وتقطيع أواصر القربى بين الشعوب العربية، وكذا بين الشعوب الإسلامية، والتنديد بحال الشعوب الإسلامية الحاضرة، والازدراء بها فى المجالات الدولية العالمية:

- فهناك الدعوة إلى أن القرآن:

- كتاب مسيحى يهودى نسخه محمد!

- وأن الإسلام دين مادى لا روحية فيه، يدعو إلى الدنيا وليس إلى صفاء النفوس والمحبة.

- وأنه -أى الإسلام- يميل إلى الاعتداء والاغتيال، ويحرض أتباعه على القسوة على غير المسلمين عامة!

- كما أنه يدعو إلى الحيوانية والاستغراق فى الملذات الدنيا!

● وهناك الدعوة إلى:

- أن الفلسفة العربية فكر يونانى، كتب بأحرف عربية.

- وأن اللغة العربية الفصحى لم تعد صالحة اليوم، بدلاً منها يجب أن تستخدم العاميـة واللهجات الدارجة، كمـا يجب أن تستخدم الحروف اللاتينيـة عوضًا عن الأحرف العربية!

● وهناك الدعوة إلى:

- إحياء الفرعونية فى مصر.

- والآشورية فى العراق.

- والبربرية فى شمال أفريقية.

- والفينيقية على ساحل فلسطين ولبنان.

- وإلى تفضيل الفارسية -كلغة آرية- على العربية كلغة سامية.

- وإلى أن الذى حمل أمارات الحياة الأدبية الجديدة فى الشرق العربى فى نهاية القرن التاسع عشر، وكذا فى الشرق الإسلامى، وحمل مظاهر الحضارة عامة -هم نصارى لبنان الذين تعلموا واستوحوا من جهود المبشرين الأمريكيين فى سوريا.

- وإلى أن البربر وحدهم هم أصحاب المدنية فى شمال أفريقية والأندلس.

- التنفير من حياة المسلمين الحاضرة؛ لأنها حياة بدائية ذليلة.

- وإلى أن السبب فى ذلك هو تعاليم الإسلام والتمسك بها.

والتبشيـر والاستشراق فى ذلك سواء. والفرق بينهما هو: أن الاسـتشراق أخذ صورة «البحث» وادعى لبحثه «الطابع العلمى الأكاديمى» بيـنما بقيت دعوة التبشير فى حدود مظاهر «العقلية العامة» وهى العقلية الشعبية.

استخدم الاستشراق: الكتاب والمقال فى المجلات العلمية، وكرسى التدريس فى الجامعة، والمناقشة فى المؤتمرات «العلمية» العامة.

أما التبشـير فقد سلك طريق التعليم المدرسى فى دور الحـضانة ورياض الأطفال والمراحل الابتدائية والثانوية للذكور والإناث على السـواء. كما سلك سبيل العمل

«الخيرى» الظاهرى فى المستشفيات، ودور الضيافة والملاجئ للكبار. ودور اليتامى واللقطاء. ولم يقصر التبشير فى استخدام «النشر والطباعة» وعمل «الصحافة» فى الوصول إلى غايته.

إن البلاد العربية والإسلامية فى يقظتها الحالية تتعثر فى خطاها نحو التماسك الداخلى، ونحو تقوية العلاقات بينها، بسبب الرواسب التى تخلفت عن التبشير والاستشراق، وبسبب آخر له وزنه فى هذا التعثر وهو ضعف المواجهة التى يلقاها فى البلاد الإسلامية هذان العاملان القويان فى تركيز الاستعمار، وبعثرة القوى الوطنية فى كل بلد عربى وإسلامى.

والمؤسسات الإسلامية -على تعددها وتنوعها- لم تعر تمامًا حتى الآن «وضعية» التبشير والاستشراق فى توجيه الشعوب العربية والإسلامية، حتى تحاول أن تلقاها، فضلاً عن أن يكون لقاؤها إياها قوياً أو ضعيفًا:

١- فالأزهر وهو أكبر المؤسسات الإسلامية فى الشرق العربى والإسلامى -لم يخرج برسالته كثيرًا حتى الآن عن أن يكون ترديدًا لتفكير القرون الوسطى فى مواجهة بعضهم بعضًا كأحزاب وأصحاب مذاهب فقهية وكلامية أو شعوبية (سنة وشيعة) أو ترديدًا لتفكير المتأخرين الذين سلبوا الإنسان أخص مقوماته فى الدنيا وهى ميزة الحياة. ولكن الأمل كبير الآن فى إصلاح الأزهر.

٢- وجمعية الشبان المسلمين بالقاهرة، هى تقليد لجمعيات الشباب المعروفة من قبل عند غيرنا فى جانب، وابتعاد عنها فى أهم جانب من جوانب رسالتها. تقلدها فى ممارسة الرياضة، ولكنها لا تقلدها فى جعل الرياضة وسيلة من وسائل التربية والإيمان، كما تفعل جمعيات الشباب الأخرى. أما ما يلقى فيها من محاضرات، أو يعقد فيها من ندوات، فينقص هذه وتلك عنصر الجدية وحرارة الإيمان...

٣- وجمعية التعريف الدولى بالإسلام (التى تعقد اجتماعاتها بدار جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة) هى جمعية طابعها شخصى، أكثر من أن يكون حملاً لرسالة وبعثًا لها، أو نشرًا لمبادئها فى بلاد العالم، كما هو المفهوم من اسمها وصفاتها.

٤- ومعهد الدراسات الإسلامية (بالروضة بالقاهرة) معهد حديث النشأة لم يتميز اتجاهه بعد، هل هو علمانى على نحو أسلوب الدراسة العلمانية فى التراث الإسلامى التى أدخلها علماء التبشير والاستشراق فى الجامعات المصرية؟ أم هو تقليدى على نحو ما يفعل الأزهر فى طريقته؟

* * *

إن رواسب التبشير والاستشراق التى أشرنا إليها فيما مضى لا تتمثل فقط فى المؤسسات التبشيرية المختلفة الظاهرة فى مصر والبلاد العربية والإسلامية. بل هناك أيضًا مؤسسات أخرى فى مصر لا يرى منها التبشير وإن كانت لا تخفى هدف هذا الاستشراق. ونذكر -على سبيل المثال لا الحصر- المؤسسات الآتية:

١- المعهد الشرقى بدير الدومينكان، بشارع مصنع الطرابيش.

٢- ندوة الكتاب، بشارع سليمان باشا.

٣- دار السلام، بكنيسة دار السلام بمصر القديمة.

٤- المعهد الفرنسى بالمنيرة.

فكل هذه المؤسسات تخضع للاتجاه الكاثوليكى فى بحث الإسلام وتراثه وتخضع كذلك للنفوذ الفرنسى. والذين يعاونونها من المصريين هم أصحاب الثقافة الفرنسية ممن درسوا فى فرنسا الآداب الشرقية والثقافية الإسلامية، ويرعاها كأب روحى، المستشرق الفرنسى لويس ماسينيون، وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ومستشار وزارة المستعمرات الفرنسية فى شؤون شمال أفريقية.

والذين يعاونون هذه المؤسسات من المصريين المثقفين فى فرنسا والدارسين للآداب الشرقية العربية أو للتراث الإسلامى الثقافى، يزداد أثرهم كلما اتصل شأنهم واتصلت مشورتهم بتوجيه الأدب، أو الثقافة فى مصر.

وتحت عنوان «إصدار سلسلة كتب عن تاريخ الدين الإسلامى» وتحت هذا العنوان كتبت جريدة الأخبار بتاريخ ١٥ أكتوبر من عام ١٩٥٧: عن وضع مشروع لإصدار سلسلة من الكتب: بعضها مترجم عن كتب المستشرقين والبعض الآخر يؤلفه كتاب مصريون عن تاريخ الدين الإسلامى، والأطوار التى مر بها فى عهد الاستعمار.

من غير شك هناك من له نفوذ بين الذين يعتزمون إصدار هذه السلسلة، وهو من أنصار اتجاه التبشير والاستشراق ويروج لرسالة التبشير والاستشراق وهى رسالة الاستعمار دون أن يكون فى نفسه أى أثر للشعور بخطورة هذا الاتجاه. فنحن سنرى فى الكلام عن الاستشراق. فى هذا البحث، ما يؤكد أن هدف المستشرقين فى كتبهم عامة وقاطبة هو التوهين للقيم الإسلامية، وتفتيت الشعوب العربية والإسلامية فى علاقاتها وصلات بعضها ببعض.

أجهزة الدعوة والدراسات الإسلامية عليها إزاء التبشير والاستشراق:

أولاً: أن تساهم فى تنقية الحياة المصرية والعربية والإسلامية من رواسب هذين العاملين فتقعد عملاءهما من حياة التوجيه فى مصر فى جوانبها المتعددة وتكون ذات صلة وثيقة بوزارة التربية والتعليم فى الإشراف على حياة مصرية إسلامية أفضل فى مدارس المبشرين -وهى المدارس الدينية التابعة للفاتيكان فى طوابعها المختلفة، من فرنسية وإيطالية وأسبانية وألمانية وهلم جرا... وعلى صلة وثيقة بالصحافة ووزارة الثقافة والإرشاد القومى فى توجيه القلم والكتاب.

ثم عليها **ثانيًا**: أن تكون مع المؤسسات التعليمية الإسلامية -كالأزهر- جهازًا قوياً يلقى به كتب المستشرقين، وبحوثهم فى مجلاتهم ومؤتمراتهم، فى الرد عليهم وشرح القيم الإسلامية. وتقوية أواصر القربى بين الشعوب العربية والإسلامية.

ثم عليها **ثالثًا**: أن تخرج للمسلمين عاجلاً فى مشارق الأرض ومغاربها.

١- «دائرة معارف إسلامية» يكتبها علماء مسلمون متمكنون فى فهم التراث الإسلامى من جميع بلاد العالم الإسلامى، وتكون مرجعًا للجوانب الثقافية العديدة.

٢- وأن تقرأ «ترجمة» فى كل لغة من اللغات التى ترجم إليها القرآن فعلا بعد مراجعتها مراجعة دقيقة، من علماء لهم سعة اطلاع فى التفسير والعلوم الإسلامية.

٣- وأن تخرج «قاموسًا» للفقه الإسلامى. على نمط القواميس العلمية الحديثة فى الاجتماع والفلسفة وعلم النفس والاقتصاد... يكون مرجعًا سريعًا لمعرفة المصطلحات الفقهية ومدلولاتها فى المذاهب الفقهية المختلفة.

والفرق بينه وبين «دائرة المعارف الإسلامية» أن هذه لا تقصر موضوعاتها على الفقه، بل تعالج جوانب التراث الإسلامى كلها كموسوعة علمية عصرية. أما القاموس فمهمته التعريف فى صور مجملة سريعة علمية منظمة بالفقه الإسلامى. والمسلم المعاصر -وبالأخص فى البلاد التى تعرف اللغة العربية- فى حاجة ماسة إلى مثل هذا القاموس.

٤- وأن تصدر «مجلة» تتبع بحوث الاستشراق التى يوردها الغرب الصليبى للشرق الإسلامى فى الوقت الحاضر، سواء فى كتبه عن التراث الإسلامى أو فى بحوث مجلاته العديدة التى تعنى بهذا التراث و يوضعية المسلمين وتوجيههم. وحركة الغرب فى توريده لهذه البحوث حركة ضخمة وسريعة، كما يرى من الدوريات التى تنشرها الجمعيات الاستشراقية فى مختلف بقاع العالم بلغات مختلفة، ومن الكتب التى تصدرها دور الطباعة الكبيرة فى عواصم أمريكا الشمالية وإنجلترا وفرنسا. والبيان المرافق فى هذا البحث يعطى صورة تقريبية، ولكنها صورة مزعجة للموجهين فى العالم الإسلامى.

وإذا ابتدأت أجهزة الدعوة والدراسات الإسلامية فى مواجهة «الاستشراق» مواجهة سافرة -وليس هناك حتى اليوم أية مؤسسة إسلامية فى العالم الإسلامى تقوم بهذا الدور -لأكثر من سبب، فستظهر له سبل أخرى يرى لزامًا عليه أن يسلكها كى يصل إلى هدفه، وهو:

إعادة تقييم القيم الإسلامية فى نفوس المسلمين، وفى نفوس الرأى العام العربى.

هدف التبشير:

سنرى فيما بعد أن الاستشراق لون من ألوان التبشير لاءم نفسه مع ظروف الحياة. وإذا كان الاستشراق نوعًا من أنواع التبشير فتعرف هدف التبشير نفسه يعطينا بالتالى صورة عن هدف الاستشراق. ولن نحاول هنا أن نذكر شيئًا مستنتجًا من قراءة أو دراسة لهذا الموضوع، وإنما سندع النصوص الثابتة لزعماء المبشرين تعبر عن هذا الهدف:

يقول لورانس براون Lawrance brown «إذا اتحد المسلمون فى إمبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطرًا، وأمكن أن يصبحوا نعمة له أيضًا. أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا قوة ولا تأثير»[١].

ويفصح القس «كالهون سيمون» عن رغبة التبشير القوية فى تفريق المسلمين التى عبر عنها «براون» فيما قبل، بقوله: «إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب السود، وتساعدهم على التملص من السيطرة الأوربية. ولذلك كان التبشير عاملاً مهماً فى كسر شوكة هذه الحركات. ذلك لأن التبشير يعمل على إظهار الأوربيين فى نور جديد جذاب، وعلى سلب الحركة الإسلامية من عنصر القوة والتمركز فيها»[٢].

فوحدة المسلمين إذن فى نظر التبشير يجب أن تفتت وأن توهن، ويجب أن يكون هدف التبشير هو التفرقة فى توجيه المسلمين واتجاهاتهم. والتبشير، إذ يرى هدفه المباشر تفكيك المسلمين.. يرى بالتالى درء خطر وحدتهم على استعمار الشعوب الأوربية وعلى استغلالها واستنزافها لثروات المسلمين. وفى هذا المعنى يقول لورانس براون: «الخطر الحقيقى كان فى نظام الإسلام، وفى قدرته على التوسع والإخضاع وفى حيويته: إنه الجدار الوحيد فى وجه الاستعمار الأوربى»[٣].

وتقول مجلة العالم الإسلامى الإنجليزية The Muskim World:

«إن شيئًا من الخوف يجب أن يسيطر على العالم الغربى، ولهذا الخوف أسباب منها: أن الإسلام منذ أن ظهر فى مكة لم يضعف عدديًا، بل دائمًا فى ازدياد واتساع ثم إن الإسلام ليس دينًا فحسب، بل إن من أركانه الجهاد. ولم يتفق قط أن شعبًا دخل فى الإسلام ثم عاد نصرانيًا»[٤].

وهناك بجانب تفتيت وحدة المسلمين -كهدف للمبشرين- هدف آخر هو التنفيس عن الصليبية وعن الانهزامات التى منى بها الصليبيون طوال قرنين من

---

(١) فى كتابه (الإسلام والإرساليات) Jslam and Missions.

(٢) كتاب (التبشير والاستعمار) ص ٣٢. (٣) فى كتاب أصدره فى عام ١٩٤٤.

(٤) عدد يونية سنة ١٩٣٠ تحت عنوان (الجغرافيا السياسية للعالم الإسلامى).

The political geography of the Mohammadan world

الزمان، أنفقوهما فى محاولة الاستيلاء على بيت المقدس وانتزاعه من أيدى المسلمين الهمجيين!! يقول اليسوعيون: «ألم نكن ورثة الصليبيين؟ أو لم نرجع تحت راية الصليب لنستأنف التسرب التبشيرى والتمدين المسيحى ولنعيد فى ظل العلم الفرنسى وباسم الكنيسة مملكة المسيح»[1].

وبجانب هذا وذاك يرى المستشرق الألمانى بيكر Becker: «أن هناك عداء من النصرانية للإسلام بسبب أن الإسلام عندما انتشر فى العصور الوسطى أقام سداً منيعًا فى وجه انتشار النصرانية ثم امتد إلى البلاد التى كانت خاضعة لصولجانها[2].

وإذن هدف التبشير هو تمكين الأوربى المسيحى من البلاد الإسلامية، والأسباب التى ذكرها هؤلاء المبشرون هنا توصل جميعها إلى هذا الهدف، فسواء أكان التنفيس عن هزيمة الصليبية، أم الرغبة فى الانتقام من الإسلام لأنه قام فى القرون الوسطى فى وجه المسيحية. أم توهين المسلمين وتمزيقهم فى التوجيه والاتجاه -هو السبب المباشر فى التبشير فإن نتيجته حتما، وعلى أى وضع هى ما ذكرنا من تمكين الأوربى المسيحى من المسلم الشرقى، ومن وطنه.

وهنا يبدو واضحًا أن التبشير مقدمة أساسية للاستعمار الأوربى، كما أنه سبب مباشرة لتوهين قوة المسلمين. «ولقد كانت الدول الأجنبية تبسط الحماية على مبشريها فى بلاد الشرق، لأنها تعدهم حملة لتجارتها وآرائها ولثقافتها إلى تلك البلاد. بل لقد كانت ثمة ما هو أعظم من هذا عندها: لقد كان المبشرون يعلمون بطرق مختلفة كالتعليم مثلاً على تهيئة شخصيات شرقية لا تقاوم التساقط الأجنبى[3].

تصوير المبشرين للإسلام والمسلمين:

وطريق التبشير لتوهين المسلمين لم يكن الدعوة إلى المسيحية والعمل على ارتداد المسلمين إلى النصرانية مباشرة. وإنما كانت طريقة تشويه الإسلام، ومحاولة إضعاف قيمه. ثم تصوير المسلمين فى وضعهم الحالى بصورة مزرية بعيدة عن المستوى الحضارى فى عصرنا الحاضر.

---

(١) التبشير والاستعمار ص ١١٧.

(٢، ٣) المصدر السابق: ٥٠.

(فالمونيسنيور كولى) فى كتابه «البحث عن الدين الحق» يصور الإسلام على هذا النحو: «الإسلام فى القرن السابع للميلاد برز فى الشرق عدو جديد» ذلك هو الإسلام الذى أسس على القوة. وقام على أشد أنواع التعصب!

لقد وضع محمد السيف فى أيدى الذين اتبعوه، وتساهل فى أقدس قوانين الأخلاق!

ثم سمح لأتباعه بالفجور والسلب!!

ووعد الذين يهلكون (يستشهدون فى سبيل الله) فى القتال بالاستمتاع الدائم بالملذات (الجنة).

وبعد قليل أصبحت آسيا الصغرى وأفريقيا وأسبانيا فريسة له، حتى إيطاليا هددها الخطر. وتناول الاجتياح نصف فرنسا.

لقد أصيبت المدنية!!

ولكن هياج هؤلاء الأشياع (المسلمين) تناول فى الأكثر كلاب النصارى.

ولكن انظر ! ها هى النصرانية تضع بسيف شارل مارتل سداً فى وجه سير الإسلام المنتصر عند يوانيه (٧٥٢م) ثم تعمل الحروب الصليبية فى مدى قرنين تقريبًا (١٠٩٩- ١٢٥٤م) فى سبيل الدين، فتدجج أوربا بالسلاح، وتنحى النصرانية، وهكذا تقهقرت قوة الهلال أمام راية الصليب، وانتصر الإنجيل على القرآن، وعلى ما فيه من قوانين الأخلاق الساذجة» [١]!

ويقول و. س. نلسون V.S. Nelson «وأخضع سيف الإسلام شعوب أفريقيا وآسيا شعبًا بعد شعب»[٢].

هذا فى وصف الإسلام ووصف مبادئه، أما محمد رسوله فيقول عنه أديسون Addison: «محمد لم يستطع فهم النصرانية، ولذلك لم يكن فى خياله منها إلا صورة مشوهة بنى عليها دينه الذى جاء به للعرب»[٣].

---

(١) ص ٢٢٠ طبع ١٩٢٨. وقد نال هذا الكتاب رضا البابا ليون الثالث عشر فى سنة ١٨٨٧ وعاش فى المدارس المسيحية فى الشرق والغرب إلى اليوم..

(٢) التبشير والاستعمار ص ٣٦. (٣) المصدر السابق: ص ٣٧.

وفى وصف المسلمين يقول هنرى جيسب Henry Jesups المبشر الأمريكى: «المسلمون لا يفهمون الأديان ولا يقدرونها قدرها... إنهم لصوص، وقتلة ومتأخرون، وأن التبشير سيعمل على تمدينهم[1]!» كما يقول فى وصفهم جوليمين Guillimain فى كتابه «تاريخ فرنسا»: «إن محمداً، مؤسس دين المسلمين قد أمر أتباعه أن يخصعوا العالم، وأن يبدلوا جميع الأديان بدينه هو، ما أعظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين (المسلمين) وبين النصارى! إن هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة وقالوا للناس: أسلمو أو موتوا، بينما أتباع المسيح ربحوا النفوس ببرهم وإحسانهم.

ماذا كانت حال العالم لو أن العرب انتصروا علينا؟ إذن لكنا مسلمين كالجزائريين والمراكشيين»[2].

وهكذا: المسلمون متأخرون، ولصوص وقتلة!!

وهكذا: رسولهم سارق ومحرف فيما سرق!!

وهكذا: الإسلام دين السيف وليس دين الإيمان. هو دين مادى وليس دينًا روحيًا لأنه يسمح لأتباعه بالفجور والسلب والقتل!! هذا ما يصور به التبشير الإسلام والمؤمنين به والتابعين لرسوله. على أنه لم يفت المبشرين كذلك - بجانب تشويه الإسلام والمسلمين بغية توهينهم وإضعاف وحدتهم أن يثيروا للغاية نفسها النزعات الشعوبية، مثل الفرعونية فى مصر، والفينيقية على ساحل فلسطين ولبنان، والآشورية فى العراق، والبربرية فى شمال أفريقيا وهكذا....

سبل المبشرين إلى بلوغ غاياتهم:

وتنوعت أساليب التبشير فى توصيل هذا التصوير المشوه للإسلام ورسوله والمسلمين، إلى أجيال المسلمين جيلاً بعد جيل، منذ أن استقر فى الشرق العربى والإسلامى. فكانت:

- المدرسة- والكلية- والجامعة - الندوة- والرياضة.

---

(١) المصدر السابق فى نفس الصحيفة.

(٢) الصفحات من: ٨- ٨١ من كتابه.

- المنزل - الكتاب.

- الصحافة - المخيم.

- المستشفى - دار النشر والطباعة.

وأن من أشهر المؤسسات التعليمية فى الشرق العربى جامعة القديس يوسف فى لبنان. وهى جامعة بابوية كاثوليكية «وتعرف الآن بالجامعة اليسوعية».

والجامعة الأمريكية ببيروت التى كانت من قبل تسمى «الكلية السورية الإنجيلية»، ثم كلية بيروت. وقد أنشئت فى عام ١٨٦٥، وهى جامعة بروتستانتية.

والكلية الأمريكية بالقاهرة التى أصبحت فيما بعد «الجامعة الأمريكية» وقد كان القصد من إنشائها: أن تكون قريبة من المركز الإسلامى الكبير، وهو الجامع الأزهر.

وكلية روبرت فى استنبول التى أصبحت تسمى: «بالجامعة الأمريكية» هناك.

والكلية الفرنسية فى لاهور، وأسست فى لاهور باعتبار أن هذا البلد يكاد يكون البلد الإسلامى الفريد فى تكوينه فى شبه القارة الهندية. ومن المنشور الذى أصدرته الجامعة الأمريكية فى بيروت فى عام ١٩٠٩، رداً على احتجاج الطلاب المسلمين لإجبارهم على الدخول يومياً إلى الكنيسة -يتضح من المادة الرابعة منه طابع هذه المؤسسة وأمثالها، ونص هذه المادة ما يلى:

«إن هذه كلية مسيحية أسست بأموال شعب مسيحى، هم اشتروا الأرض وهم أقاموا الأبنية، وهم أنشأوا المستشفى وجهزوه ولا يمكن للمؤسسة أن تستمر إذا لم يسندها هؤلاء. وكل هذا قد فعله هؤلاء؛ ليوجدوا تعليماً يكون الإنجيل من مواده. فتعرض منافع الحقيقة المسيحية على كل تلميذ.. وكل طالب يدخل مؤسستنا يجب أن يعرف سابقًا ماذا يطلب منه»[1].

كما أعلن مجلس أمناء الكلية فى هذه المناسبة: «أن الكلية لم تؤسس للتعليم العلمانى، ولا لبث الأخلاق الحميدة، ولكن من أولى غاياتها أن تعلم الحقائق

(١) (التبشير والاستعمار) ص ١٠٨.

الكبرى التى فى التوراة، وأن تكون مركزًا للنور المسيحى، وللتأثير المسيحى، وأن تخرج بذلك على الناس وتوصيهم به»[1].

وكما يستخدم المبشرون دور التعليم -بعد أن يموهوا بأسمائها على الرأى العام للتبشير، يستخدمون كذلك الوسائل الأخرى التى أشرنا إليها هنا سابقًا، للغاية نفسها، وبالأخص الصحافة. فكتاب «التبشير والاستعمار» يذكر نقلاً عن مصادر للتبشير ما يلى:

«يعلن المبشرون أنهم استغلوا الصحافة المصرية على الأخص، للتعبير عن الآراء المسيحية أكثر مما استطاعوا فى أى بلد إسلامى آخر، لقد ظهرت مقالات كثيرة فى عدد من الصحف المصرية، إما مأجورة فى أكثر الأحيان أو بلا أجر فى أحوال نادرة»[2].

والمبشرون يسيرون فى تحقيق هدفهم وفق خطط معينة مدروسة يجتمعون من أجلها بين الحين والحين، ولذلك ترى أنهم عقدوا عدة مؤتمرات لهذه الغاية.

- مؤتمر القاهرة فى عام ١٩٠٦.
- ومؤتمر بيروت فى عام ١٩١١.
- ومؤتمر القدس فى عام ١٩٢٤.
- ومؤتمر القدس فى عام ١٩٣٥.

وفى كل مؤتمر من هذه المؤتمرات تدرس المشروعات وتوضح الخطط ثم يجرى تنفيذها فى سرية تامة وبهمة دائبة.

نشأة الاستشراق:

يرجع تاريخ الاستشراق فى بعض البلدان الأوربية إلى القرن الثالث عشر الميلادى. وربما كانت هناك محاولات فردية قبل ذلك، غير أن المصادر التى بين أيدينا لا تلقى الضوء الكافى على الموضوع، وإن أشارت إلى بعض المستشرقين كأفراد، ويكاد المؤرخون يجمعون على أن الاستشراق انتشر فى أوربا بصفة جدية

(١) المصدر السابق: ص ١٠٩.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٠٧.

بعد فترة «عهد الإصلاح الدينى» كما يشهد بذلك التاريخ فى هولندا والدانمارك وغيرهما[1].

أسباب الاستشراق:

والسبب الرئيسى المباشر الذى دعا الأوربيين إلى الاستشراق هو سبب دينى فى الدرجة الأولى: فقد تركت الحرب الصليبية فى نفوس الأوربيين ما تركت من آثار مرة عميقة. وجاءت حركة الإصلاح الدينى المسيحى فشعر المسيحيون: بروتستانت وكاثوليك. بحاجات ضاغطة لإعادة النظر فى شروح كتبهم الدينية، ولمحاولة تفهمها على أساس التطورات الجديدة التى تمخضت عنها حركة الإصلاح ومن هنا اتجهوا إلى الدراسات العبرانية. وهذه أدت بهم إلى الدراسات العربية فالإسلامية؛ لأن الأخيرة كانت ضرورية لفهم الأولى وخاصة ما كان منها متعلقًا بالجانب اللغوى، وبمرور الزمن اتسع نطاق الدراسات الشرقية حتى شملت أديانًا ولغات وثقافات غير الإسلام وغير العربية[2].

ومن جهة أخرى رغب المسيحيون فى التبشير بدينهم بين المسلمين، فأقبلوا على الاستشراق ليتسنى لهم تجهيز الدعاة وإرسالهم للعالم الإسلامى، والتقت مصلحة المبشرين مع أهداف الاستعمار فمكن لهم، واعتمد عليهم فى بسط نفوذه فى الشرق. وأقنع المبشرون زعماء الاستعمار بأن «المسيحية» ستكون قاعدة الاستعمار الغربى فى الشرق. وبذلك سهل الاستعمار للمبشرين مهمتهم وبسط عليهم حمايته، وزودهم بالمال والسلطان، وهذا هو السبب فى أن الاستشراق قام فى أول أمره على أكتاف المبشرين والرهبان ثم اتصل بالاستعمار.

وبجانب هذا وذاك. كانت هناك أسباب أخرى فرعية لنشأة الاستشراق: أسباب تجارية، وأسباب سياسية دبلوماسية، وأسباب شخصية مزاجية عند بعض الناس الذين تهيأ لهم الفراغ والمال، واتخذوا الاستشراق وسيلة لإشباع رغباتهم الخاصة

(١) راجع الصفحات ٣، ٥٤، ٨٦، ٢٥٧، ٣٦٨ من المجلد الثالث الصادر فى عام ١٩٢٣ من مجلة (المجتمع العلمى العربى) والصفحات ٦٤، ١٧٠، ٢٠٤، ٢٦٤، ٤١٦، ٤٤٢ من المجلد الرابع الصادر فى عام ١٩٢٤ من المجلة نفسها.

(٢) راجع المصدر السابق، وكتاب «المستشرقون» لنجيب العقيقى والمجلة الإسلامية بالإنجليزية Al-Islam ص ١١٢ من عدد ١٥ فبراير سنة ١٩٥٨.

فى السفر، أو فى الاطلاع على ثقافات العالم القديم، ويبدو أن فريقًا من الناس دخلوا ميدان الاستشراق من باب البحث عن الرزق عندما ضاقت بهم سبل العيش العادية، أو دخلوه هاربين عندما قعدت بهم إمكانياتهم الفكرية عن الوصول إلى مستوى العلماء فى العلوم الأخرى. أو دخلوه تخلصًا من مسؤولياتهم الدينية المباشرة فى مجتمعاتهم المسيحية. أقبل هؤلاء على الاستشراق تبرئة لذمتهم الدينية أمام إخوانهم فى الدين، وتغطية لعجزهم الفكرى، وأخيرًا بحثًا عن لقمة العيش إذ إن التنافس فى هذا المجال أقل منه فى غيره من أبواب الرزق[1].

وهناك ملاحظة لبعض الباحثين تتعلق بالمستشرقين اليهود خاصة. فالظاهر أن هؤلاء أقبلوا على الاستشراق لأسباب دينية- وهى محاولة إضعاف الإسلام والتشكيك فى قيمه بإثبات فضل اليهودية على الإسلام: بادعاء أن اليهودية فى نظرهم هى مصدر الإسلام الأول، ولأسباب سياسية تتصل بخدمة الصهيونية: فكرة أولا ثم دولة ثانيا. هذه وجهة نظر ربما لا تجد مرجعًا مكتوبًا يؤيدها غير أن الظروف العامة، والظواهر المترادفة فى كتابات هؤلاء المستشرقين تعزز وجهة النظر هذه، وتخلع عليها بعض خصائص الاستنتاج العلمى.

وقد تركزت أهداف الاستشراق -مع تنوعها- أخيرًا فى خلق التخاذل الروحى، وإيجاد الشعور بالنقص فى نفوس المسلمين والشرقيين عامة، وحملهم من هذا الطريق على الرضا والخضوع للتوجيهات الغربية.

«ومن المبشرين نفر يشتغلون بالآداب العربية والعلوم الإسلامية أو يستخدمون غيرهم فى سبيل ذلك، ثم يرمون كلهم مما يكتبون إلى أن يوازنوا بين الآداب العربية والآداب الأجنبية، أو بين العلوم الإسلامية والعلوم الغربية (التى يعدونها نصرانية؛ لأن أمم الغرب تدين بالنصرانية) ليخرجوا دائما بتفضيل الآداب الغربية على الآداب العربية والإسلامية، وبالتالى إلى إبراز نواحى النشاط الثقافى فى

(١) راجع الصفحات ١٩ وما بعدها، ٢٨ وما بعدها، ٤٠ وما بعدها، من كتاب (المستشرقون) وراجع المجلدين الثالث والرابع من مجلة المجمع العلمى العربى لعامى ١٩٢٣- ١٩٢٤ وراجع مجلة الإسلام بالانجليزية Al-Islam فى أعدادها الصادرة فى فبراير وأبريل ومارس ومايو من عام ١٩٥٨.

الغرب وتفضيلها على أمثالها فى تاريخ العرب والإسلام. وما غايتهم من ذلك إلا تخاذل روحى وشعور بالنقص فى نفوس الشرقيين وحملهم من هذا الطريق على الرضا بالخضوع للمدنية المادية الغربية[1].

من مظاهر المستشرقين:

حاول المستشرقون أن يحققوا أهدافهم بكل الوسائل: ألفوا الكتب: وألقوا المحاضرات والدروس. و«بشروا» بالمسيحية بين المسلمين، وجمعوا الأموال وأنشأوا الجمعيات وعقدوا المؤتمرات، وأصدروا الصحف، وسلكوا كل مسلك ظنوه محققًا لأهدافهم.

وهذه نماذج من صور نشاطهم المتعدد الجوانب.

● فى عام ١٧٨٧ أنشأ الفرنسيون جمعية للمستشرقين، وألحقوا بها أخرى فى عام ١٨٢٠، وأصدروا «المجلة الآسيوية».

● وفى لندن تألفت جمعية لتشجيع الدراسات الشرقية فى عام ١٨٢٣، وقبل أن يكون الملك ولى أمرها. وأصدرت «مجلة الجمعية الآسيوية الملكية».

● وفى عام ١٨٤٢ أنشأ الأمريكيون جمعية ومجلة باسم «الجمعية الشرقية الأمريكية»، وفى العام نفسه أصدر المستشرقون الألمان مجلة خاصة بهم كذلك فعل المستشرقون فى كل من النمسا وايطاليا وروسيا.

● ومن المجلات التى أصدرها المستشرقون الأمريكيون فى هذا القرن «مجلة جمعية الدراسات الشرقية»، وكانت تصدر فى مدينة جامبير Cambier بولاية أوهايو Ohio ولها فروع فى لندن وباريس وليبزج، وتورنتو فى كندا، ولا يعرف إن كانت تصدر الآن أم لا، طابعها العام على كل حال طابع الاستشراق السياسى وإن كانت تعرض من وقت لآخر لبعض المشكلات الدينية، وخاصة فى باب الكتب.

● ويصدر المستشرقون الأمريكيون فى الوقت الحاضر «مجلة شؤون الشرق الأوسط» وكذلك «مجلة الشرق الأوسط»: وطابعها على العموم طابع الاستشراق السياسى كذلك.

---

(١) التبشير والاستعمار: ص١٧.

وأخطر المجلات التى يصدرها المستشرقون الأمريكيون فى الوقت الحاضر هى مجلة «العالم الإسلامى» The Muslim World أنشأها صموئيل زويمر Zweimer فى سنة ١٩١١. وتصدر الآن من هارتيفورد Hartford بأمريكا ورئيس تحريرها كنث كراج K. Cragg وطابع هذه المجلة تبشيرى سافر.

وللمستشرقين الفرنسيين مجلة شبيهة بمجلة «العالم الإسلامى» فى روحها واتجاهها العدائى التبشيرى واسمها أيضًا: Le monde Musulman

ولعل أخطر ما قام به المستشرقون حتى الآن هو إصدار «دائرة المعارف الإسلامية» بعدة لغات، وكذلك إصدار موجز لها بنفس اللغات الحية التى صدرت بها الدائرة. وقد بدأوا فى الوقت الحاضر فى إصدار طبعة جديدة تظهر فى أجزاء. ومصدر الخطورة فى هذا العمل هو أن المستشرقين عبأوا كل قواهم وأقلامهم لإصدار هذه الدائرة، وهى مرجع لكثير من المسلمين فى دراساتهم، على ما فيها من خلط وتحريف وتعصب سافر ضد الإسلام والمسلمين.

واستطاع المستشرقون أن يتسللوا إلى المجمع اللغوى فى مصر. والمجمع العلمى فى دمشق، والمجمع العلمى فى بغداد.

ويعتمد المستشرقون -فيما يعتمدون- على عقد المؤتمرات العامة من وقت لآخر لتنظيم نشاطهم، وأول مؤتمر عقدوه كان فى سنة ١٧٨٣، ومازالت مؤتمراتهم تتكرر حتى اليوم.

وفى العصر الحديث تقوم المؤسسات الدينية والسياسية والاقتصادية فى الغرب بما كان يقوم به الملوك والأمراء فى الماضى: من الإغداق على المستشرقين وحبس الأوقاف والمنح على من يعملون فى حقل الاستشراق.

واتجه المستشرقون والمبشرون بمعاونة الاستعمار إلى مجال التربية، محاولين غرس مبادئ التربية الغربية فى نفوس المسلمين؛ حتى يشبوا «مستغربين» فى حياتهم وتفكيرهم، وحتى تخف فى نفوسهم موازين القيم الإسلامية (انظر ص ١١٤ من مجلة «الإسلام» Al-Islam الصادرة فى ١٦ مارس سنة ١٩٥٨).

جدول رقم(١)

المستشرقون المعاصرون

- **ابراهام كاش:**

عرف من نشاطه أنه مؤلف كتاب (اليهودية فى الإسلام).

- **س. س. أدامز C. C. Adams:**

إنجليزى باشر التدريس فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة لفترة من الزمن. ومؤلف كتاب (الإسلام والتجديد فى مصر) المترجم من الإنجليزية إلى العربية تحت العنوان المذكور.

- **إدوارد ابر:**

أستاذ فى الجامعة الكاثوليكية فى واشنطن.

- **إدوارد فرمان E. Ferman**

من ألد أعداء الإسلام وأكثر المستشرقين طعنًا فيه. له كتاب بالإنجليزية عن (تاريخ المسلمين وفتوحاتهم).

- **إدوين كالفرلى E. Calverley**

أمريكى متعصب. رئيس تحرير مجلة «العالم الإسلامى»The Muslim World الأمريكية لفترة من الزمن، ومن محررى «دائرة المعارف الإسلامية، ومن الذين باشروا التدريس فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة عدة مرات، معروف باتجاهات تبشيرية سافرة».

- **أريك شرودر:**

مؤلف كتاب «أمة محمد» الذى صدر بالإنجليزية سنة ١٩٥٥.

- **ج. س. آرثر Arthur**

مؤلف «العناصر الصوفية فى محمد» الذى صدر بالإنجليزية فى سنة ١٩٥٤.

obeikandl.com

● آرثر جيفرى Arthur Jeffry

معروف بتعصبه السافر ضد الإسلام والمسلمين. ومن كتبه:

- (مصادر تاريخ القرآن)، صدر بالإنجليزية فى سنة ١٩٣٧.

- (الكلمات الدخيلة فى القرآن) بالإنجليزية.

- (القرآن ككتاب دينى) صدر بالإنجليزية فى سنة ١٩٥٢.

● ت. و. أرنولد T. W. Arnold

إنجليزى اشترك فى تحرير (دائرة المعارف الإسلامية) ومن كتبه:

- «الدعوة إلى الإسلام»، ترجم من الإنجليزية إلى العربية تحت العنوان المذكور.

- «الخلافة»، صدر بالإنجليزية فى سنة ١٩٢٤.

- «تراث الإسلام» صدر بالإنجليزية فى سنة ١٩٣١.

● أرنولد توينبى Arnold Toynbee

إنجليزى له أخطاء فيما كتب عن الإسلام والرسول فى كتابه العالمى «دراسة فى التاريخ». وخطؤه هنا شديد الخطورة؛ لأن الكتاب يعتبر أحسن دراسة موضوعية للتاريخ فى العصر الحديث فى نظر كثير من الناس، وخاصة الشرقيين والعرب منهم بوجه أخص.

● أ. أ. إلدر Elder

قسيس يساهم فى تحرير «مجلة العالم الإسلامى» التى تصدر بالإنجليزية فى أمريكا.

● الفرد كارلتون A. :karlton

أمريكى كان مديراً لكلية حلب، ثم عين نائبًا لرئيس جمعية البعثات الأمريكية التبشيرية فى الخارج.

● ج. أ. أ. إيزنبرج J. Eisenberg

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● و. إيفانو W. Ivanow

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● ف. بابنجر F. Babinger

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● أ. باجليارو A. Bagliaro

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● ج. بارت J. Barth

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● ر. باريت R. Paret

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● ر. باست R. Passet

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● أ. بشوب Bishop

قسيس يساهم فى تحرير مجلة «العالم الإسلامى» الأمريكية.

● براون Browne

إنجليزى كان عضواً بالمجمع العلمى العربى بدمشق.

● ل. ل. براون L. L. Browne

قسيس أمريكى يساهم فى تحرير مجلة «العالم الإسلامى» الأمريكية.

● س. س. برج

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● هـ. هـ. برو H. H. Brau

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● أ. ل. بروفنسال E. L. Provensal

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

obeikandl.com

● ر. بل R. Bell

إنجليزى كثير الخطأ فى حديثه عن الإسلام والقرآن. ومن كتبه:

- «أصول الإسلام فى بيئته المسيحية»، صدر فى سنة ١٩٢٦.

- «القرآن» صدر فى سنة ١٩٣٧.

- «مقدمة القرآن» صدر فى ١٩٥٤.

● ر. بلاشير R. Blacher

فرنسى ومؤلف كتاب «مقدمة القرآن» صدر فى ١٩٤٧.

● م. بلسنر M. plessner

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● ف. بول F. Buhl

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● ت. ف. بوتشنر T. V. Buchner

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● ج. بيدرسن J. Podersen

دانيمركى ومن محررى «دائرة المعارف الإسلامية»، وكان عضواً بالمجمع العلمى العربى فى دمشق، والآن أستاذ فى جامعة كوبنهاجن.

● ك. بيكنز:

قسيس يساهم فى تحرير مجلة «العالم الإسلامى» الأمريكية.

● أ. س. بيفريدج A. S. Beveridge

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● س. هـ. بيكر S. H. Becker

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

obeikandl.com

● أ. س. تريتون A. S. Tritton

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● ر. تشودى R. Chudi

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● توماس جوينبول Th. Juynboll

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● تيودرى نولدكه T. Noeldeke

ألمانى معروف بعدائه للإسلام، له كتاب عن القرآن، وكتاب آخر عن التاريخ الإسلامى ظهر بالإنجليزية فى «مسلسلة تاريخ العالم».

● جايتانى Gaetani

إيطالى، وكان عضواً بالمجمع العلمى فى دمشق.

● أ. جروهمان A. Grohman

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● جريفنى Griffni

إيطالى، وكان عضواً بالمجمع العلمى العربى فى دمشق.

● جوتهيل Gottheil

كولومبى، وكان عضواً بالمجمع العلمى العربى فى دمشق.

● ل. جوثير L. Gauthier

فرنسى، متعصب دينياً وجنسياً، وكثير التشهير بالإسلام والحقد عليه، من أتباع رينان فى فكرة تمييز الآريين فى السيادة على غيرهم (انظر ص ٢٥ وما بعدها من العدد ١ من المجلد ٩، يناير سنة ١٩٢٥) من «مجلة جمعية الدراسات الشرقية».

● جودفروى ديمومبنز Gaudefroy Demombynes

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية» له كتاب عن «الحج» فيه كثير من الخلط والتشويه، (انظر ص ١٣ من العدد ١٦، من المجلد ٩، يناير سنة ١٩٢٥ من «مجلة جمعية الدراسات الشرقية»).

● و. جوركمان W. Bjorkman

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● جويدى Guidi

إيطالى، وكان عضوًا بالمجمع العلمى العربى فى دمشق.

● ب. جويل B. Goel

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● جى دوسو Guy Dussaud

فرنسى، وكان عضوًا بالمجمع العلمى العربى فى دمشق.

● جيمس هنرى بريستيد J. H. Brestead

أمريكى، يدير معهد الشرق الأوسط بجامعة شيكاغو فى أمريكا.

● ح. ل. دلافيدا G. L. Della Vida

من كبار محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● أ. هـ. دوجلاس A. H. Dauglas

من محررى مجلة «العالم الإسلامى» الأمريكية.

● د. م. دونالدسون D. M. Donaldson

قسيس أمريكى، يساهم فى تحرير مجلة «العالم الإسلامى» الأمريكية ومنه كتبه:

- «دين الشيعة» صدر فى عام ١٩٣٧.

- «دراسات فى علم الأخلاق الإسلامية»، صدر عام ١٩٥٣.

● دى بور De Boer

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية»، وله كتب عن الفلسفة الإسلامية ترجم بعضها إلى العربية.

● ديتريش Dieteich

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

obeikandl.com

● أ. دينيه E. Dinet

فرنسى، شديد التعصب ضد الإسلام، له كتاب بالفرنسية «الشرق والغرب»،

● ر. روبرتز R. Roberts

إنجليزى، ومؤلف «القوانين الاجتماعية فى القرآن»، وله دراسة مقارنة بين القرآن والتوراة فى القوانين الاجتماعية صدر فى عام ١٩٢٥.

● هـ. ريكندروف H. Rekendorf

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية» وله بعض الكتب.

● ك. ف. زيترستين K. V. Zettersteen

من كبار محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● و. سبايز O. Spies

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● هـ. سبير H. Speyer

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● م. سترك M. Strech

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● ستيفن رونسمان

مؤلف «تاريخ الحروب الصليبية» صدر الجزء الثالث منه عام ١٩٥٤.

● م. سميث M. Smith

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● سنوك هورج رونجه Snouk Horgronje

هولندى ومن محررى «دائرة المعارف الإسلامية». حارب الإسلام والمسلمين بكتبه، وكان مستشاراً لحكومته فى شؤون أندونيسيا، له كتاب «الإسلام».

● ر. شتروتمان R. Strotman

ألمانى الأصل، ومن محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● ب. شريك B. Schrieke

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● ج شليفر J. Shlaifer

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● صوميل مرسر S. Mercer

أمريكى، وكان رئيسًا لجمعية الدراسات الشرقية الأمريكية، التى تأسست فى مدينة جامبير بولاية أوهايو، وكان لها فروع فى أوروبا وكندا. كما كان رئيسا لتحرير مجلة هذه الجمعية.

● سى. فان اريندونك C. Van Arendonk

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● هـ. فوخس H. Fuchs

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● ك. فوللرز K. Vollers

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● ف. فوكا V. Vocca

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● أ. فيشر A. Fisher

ألمانى الأصل، ومن محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● كارل بروكلمان Karl Brockelmann

ألمانى الأصل، ومن محررى «دائرة المعارف الإسلامية»، صاحب أكبر موسوعة فى تاريخ الآداب العربية باللغة الألمانية، ومن مؤلفاته الهامة «تاريخ الشعوب الإسلامية» المترجم من الألمانية إلى الإنجليزية، كان عضواً بالمجمع العلمى العربى فى دمشق، (انظر الإشارة إلى بعض أخطائه التاريخية والعلمية فى مجلة الإسلام) Al-Islam التى تصدر بالإنجليزية فى كراتشى- باكستان ص ١٤١ من عدد أول مايو سنة ١٩٥٨).

● ر. أ. كرن R. A. Kern

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● أ. كور A. Cour

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● كوستى ولسون K. Willson

يساهم فى تحرير مجلة «العالم الإسلامى» الأمريكية.

● ج. هـ. كريمرز J. H. Kramers

هولندى من محررى «دائرة المعارف الإسلامية» كثير الطعن فى الإسلام وصاحب ميول تبشيرية سافرة.

● لونجوورث دايمز Longworth Dames

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● ت. لويشى T. Luwichi

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● ب. لويس Bernard Lewis

إنجليزى، له مقالات كثيرة وبعض الكتب منها: «العرب فى التاريخ» صدر فى عام ١٩٥٠، والآن أستاذ بجامعة لندن.

● ر. ليفى R. Levy

متخصص فى الدراسات الاجتماعية فى الإسلام، ومن كتبه:

- «مقدمة لدراسة علم الاجتماع الإسلامى» صدر فى عام ١٩٣٣.

- «الهيكل الاجتماعى للإسلام»، ظهر فى عام ١٩٥٧، ويصدر فى أجزاء متتالية.

● ج. مارسايز G. Marsais

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● هـ. ماسى H. Massey

فرنسى ويعرف من مؤلفاته كتاب «الإسلام» صدر فى عام ١٩٣٠.

● ل. أ. مرل

أمريكى يساهم فى تحرير مجلة «العالم الإسلامى» الأمريكية.

● ت. منتزل

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● سى. موريسون C. Morrison

أمريكى، ومؤلف كتاب «التوتر السياسى والاجتماعى والدينى فى الشرق الأوسط» عام ١٩٥٤.

● ف. مينورسكى V. Minorski

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية» والآن أستاذ بجامعة كمبردج.

● نالينو Nalino

إيطالى، وكان عضوا بالمجمع العلمى العربى فى دمشق. معروف بكتاباته ضد الإسلام.

● هـ. سى. نيبرج H. S. Nyberg

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● م. نيتس

كان محرراً فى مجلة العالم الإسلامى (الأمريكية).

● و. هارنتر Hartner

من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● هارتمان Hartman

ألمانى الأصل، وكان عضواً بالمجمع العلمى العربى فى دمشق، ويعرف من مؤلفاته (الإسلام والقومية) ظهر فى عام ١٩٤٨.

● هاورث دن H. Dunne

من أصل ألمانى، ويعيش فى أمريكا الآن، يسمى نفسه جمال الدين ويعرف من مؤلفاته (مقدمة لدراسة التربية فى مصر) بالإنجليزية.

● هاورد ريد H. Reed

أمريكى، نشأ فى بيئة تبشيرية فى تركيا، وتخصص فى التاريخ الإسلامى والشؤون التركية، كان أستاذا ببعض الجامعات الأمريكية، ثم ممثلا لمؤسسة فورد فى بيروت، له بعض المقالات، ولا تعرف له كتب تذكر.

● م. هوتسما H. Hautsma

هولندى، وكان عضوا بالمجمع العلمى العربى فى دمشق، ومن محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● هورفيتس J. Horovits

ألمانى الأصل، من محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● أ. هونجمان A. Hongman

من محررى (دائرة المعارف الإسلامية).

● أ. ج. هويسمان A. J. Huisman

من محررى (دائرة المعارف الإسلامية).

ب- هلر B.Heller

من محررى (دائرة المعارف الإسلامية).

● و. هيفننج W. Heffening

من محررى (دائرة المعارف الإسلامية).

● هيورت Huart

من المستشرقين المشهورين بالتخبط فى عرض الإسلام، ومن محررى (دائرة المعارف الإسلامية).

● م. وات M. WATT

إنجليزى له بعض المقالات ومن كتبه:

- (الجبر والاختيار فى الإسلام). صدر فى عام ١٩٤٨.

- (محمد فى مكة). صدر فى عام ١٩٥٣.

● ج. ووكر J. Walker

من محررى (دائرة المعارف الإسلامية)، ومؤلف كتاب: (ملامح من التوراة فى القرآن)، صدر فى عام ١٩٣٦.

● ب. ويتك P. Wittek

من محررى (دائرة المعارف الإسلامية).

● ت. هـ. وير T. H. Weir

من محررى (دائرة المعارف الإسلامية).

● ك. يانج C. Young

أمريكى، مارس التبشير فى إيران، كان أستاذا فى قسم الدراسات الشرقية بجامعة برنستون فى أمريكا، والآن مدير هذا القسم، ومستشار وزارة الخارجية الأمريكية فى شؤون الشرق الأوسط، وخاصة فى شؤون إيران، له مقالات متفرقة ولا يعرف له كتب تذكر.

● يوليوس ولهاوزن J. Welhausen.

ألمانى الأصل (١٨٤٤-١٩١٩) اشتهر بتعصبه ضد الإسلام وتشويه مبادئه، يعرف من كتبه (تاريخ اليهود).

جدول رقم (٢)

المتطرفون من المستشرقين

الذين تعد كتاباتهم حجة بين الغربيين، أو لآرائهم شبه حجية بين المسلمين.

● أ. ج أربرى A. J. Arberry

إنجليزى معروف بالتعصب ضد الإسلام والمسلمين، ومن محررى «دائرة المعارف الإسلامية» والآن أستاذ بجامعة كمبودج، ومن المؤسف أنه أستاذ لكثير من المصريين الذين تخرجوا فى الدراسات الإسلامية واللغوية فى إنجلترا، ومن كتبه:

- (الإسلام اليوم) صدر فى عام ١٩٤٣.
- (مقدمة لتاريخ التصوف) صدر فى عام ١٩٤٧.
- (التصوف) صدر فى عام ١٩٥٠.
- (ترجمة القرآن) صدر فى عام ١٩٥٠.

● الفرد جيوم A. Geom

إنجليزى معاصر، اشتهر بالتعصب ضد الإسلام، حاضر فى جامعات إنحلترا وأمريكا «وتغلب على كتاباته وآرائه الروح التبشيرية. ومن كتبه «الإسلام» ومن المؤسف أنه تخرج عليه كثير ممن أرسلتهم الحكومة المصرية فى بعثات رسمية للخارج لدراسة اللغات الشرقية.

● بارون كارادى فو Baron Carrade VauX

فرنسى متعصب جدا ضد الإسلام والمسلمين، ساهم بنصيب بارز فى تحرير «دائرة المعارف الإسلامية».

● هـ. أ. ر جب H. A. R. gibb

أكبر مستشرقى إنجلترا المعاصرين. كان عضوا بالمجمع اللغوى فى مصر والآن أستاذ الدراسات الإسلامية والعربية فى جامعة هارفرد الأمريكية، من كبار محررى وناشرى «دائرة المعارف الإسلامية» له كتابات كثيرة فيما عمق وخطورة، وهذا هو سر خطورته، ومن كتبه:

- «طريق الإسلام» ألفه بالاشتراك مع آخرين، وترجم من الإنجليزية إلى العربية تحت العنوان المذكور.

- «الاتجاهات الحديثة فى الإسلام»:

صدر فى عام ١٩٤٧ وأعيد طبعة وترجم إلى العربية تحت العنوان المذكور.

- «المذهب المحمدى» صدر عام ١٩٤٧ وأعيد طبعه.

- «الإسلام والمجتمع الغربى» يصدر فى أجزاء، وقد اشترك معه آخرون فى التأليف، وله مقالات أخرى متفرقة.

● جولدزيهير Goldziher

مجرى، عرف بعدائه للإسلام، وبخطورة كتاباته عنه، ومن محررى «دائرة المعارف الإسلامية» كتب عن القرآن والحديث، من كتبه: «تاريخ مذاهب التفسير الإسلامى» المترجم إلى العربية تحت العنوان السابق.

● جون ما يناردJ.Maynard

أمريكى متعصب، كان يساهم فى تحرير «مجلة جمعية الدراسات الشرقية» الأمريكية، وخاصة باب الكتب الجديدة التى لها صلة بالإسلام وبالشرق على العموم. (انظر -مثلا- ص ٢٢ وما بعدها من العدد ٢، من المجلد ٨، أبريل سنة ١٩٢٤ من المجلة المذكورة).

● س. م. . زويمر S. M. Zweimer

مستشرق مبشر، اشتهر بعدائه الشديد للإسلام، مؤسس مجلة «العالم الإسلامى» الأمريكية التبشيرية، ومؤلف كتاب «الإسلام تحد لعقيدة» صدر فى سنة ١٩٠٨، وناشر كتاب (الإسلام) وهو مجموعة مقالات قدمت للمؤتمر التبشيرى الثانى فى سنة ١٩١١ بلكنو فى الهند، وتقديرا لجهوده التبشيرية أنشأ الأمريكيون وقفا باسمه على دراسة اللاهوت وإعداد المبشرين.

● عزيز عطية سوريال

مصرى مسيحى، كان أستاذا بجامعة الإسكندرية، والآن يدرس بإحدى جامعات أمريكا، شديد الحقد على الإسلام والمسلمين، وكثير التحريف للتعاليم

الإسلامية، يستعين على الحقد والتحريف بكونه بعيدا عن مصر والمسلمين، له بعض الكتب عن الحروب الصليبية.

● غ. فون جرونباوم G. VON Grunbaum

من أصل ألمانى يهودى، مستورد إلى أمريكا للتدريس بجامعاتها، وكان أستاذا بجامعة شيكاغو، من ألد أعداء الإسلام، وفى جميع كتاباته تخبط واعتداء على القيم الإسلامية والمسلمين، كثير الكتابة، وله معجبون من المستشرقين، ومن كتبه:

- (إسلام العصور الوسطى) صدر فى عام ١٩٤٦.
- (الأعياد المحمدية) صدر فى عام ١٩٥١.
- (محاولات فى شرح الإسلام المعاصر) صدر فى عام ١٩٤٧.
- (دراسات فى تاريخ الثقافة الإسلامية) صدر فى عام ١٩٥٤.
- (الإسلام) مجموعة من المقالات المتفرقة، صدر فى عام ١٩٥٧.
- (الوحدة والتنوع فى الحضارة الإسلامية)، صدر فى عام ١٩٥٥.

● فيليب حتى P.H. Hitti.

لبنانى مسيحى تأمرك، كان أستاذا بقسم الدراسات الشرقية بجامعة برنستون بأمريكا ثم رئيسا لهذا القسم، وهو الآن بالمعاش. من ألد أعداء الإسلام، ويتظاهر بالدفاع عن القضايا العربية فى أمريكا، وهو مستشار غير رسمى لوزارة الخارجية الأمريكية فى شؤون الشرق الأوسط، يحاول دائما أن ينتقص دور الإسلام فى بناء الثقافة الإنسانية، ويكره أن ينسب للمسلمين أى فضل؛ فقد كتب -على سبيل المثال- فى (دائرة المعارف الأمريكية) طبع سنة ١٩٤٨ تحت عنوان (الأدب العربى) ص ١٢٩ يقول: «ولم تبدأ أمارات الحياة الأدبية الجديدة بالظهور إلا فى القسم الأخير من القرن التاسع عشر، وكان الكثرة من قادة هذه الحركة الجديدة نصارى من لبنان، تعلموا واستوحوا من جهود المبشرين الأمريكيين». ومحاولات «حتى» انتقاص فضل الإسلام والمسلمين ليست فقط قاصرة على العصر الحديث، ولكنها تنطبق على جميع مراحل التاريخ الإسلامى كما هو موضح فى كتبه نذكر منها:

- (تاريخ العرب) ظهر بالإنجليزية وأعيد طبعه عدة مرات، وهو ملىء بالطعن فى الإسلام والسخرية من نبيه، وكله حقد وسم وكراهية، انظر مثلا مجلة «الإسلام» بالإنجليزية Al-Islam التى تصدر فى كراتشى -باكستان ص ١٣٨ من عدد أبريل سنة ١٩٥٨. ص ١٤٦ من عدد أول مايو سنة ١٩٥٨.

- (تاريخ سوريا).

- (أصل الدروز وديانتهم) صدر فى سنة ١٩٢٨.

• أ. ج. فينسينك

عدو لدود للإسلام ونبيه، كان عضوا بالمجمع اللغوى المصرى، ثم أخرج منه على أثر أزمة أثارها الدكتور الطبيب حسين الهوارى مؤلف كتاب (المستشرقون والإسلام) صدر فى سنة ١٩٣٦. وحدث ذلك بعد أن نشر فينسينك رأيه فى القرآن والرسول: مدعيا أن الرسول ألف القرآن من خلاصة الكتب الدينية والفلسفية التى سبقته، انظر (المستشرقون والإسلام) ص ٧١٠ وما بعدها هذا والمعروف لفينسينك، كتاب تحت عنوان (عقيدة الإسلام) صدر فى سنة ١٩٣٢.

• كينيت كراج

أمريكى شديد التعصب ضد الإسلام، قام بالتدريس فى الجامعة الأمريكية، بالقاهرة لفترة من الوقت، والآن رئيس تحرير مجلة «العالم الإسلامى» الأمريكية التبشيرية، ورئيس قسم اللاهوت المسيحى فى هارتفورد «ومعهد» مبشرين، ومن كتبه (دعوى المئذنة)، صدر فى عام ١٩٥٦.

• لوى ماسينيون L. Massignon

أكبر مستشرقى فرنسا المعاصرين، ومستشار وزارة المستعمرات الفرنسية فى شؤون شمال أفريقيا، والراعى الروحى للجمعيات التبشيرية الفرنسية فى مصر. زار العالم الإسلامى أكثر من مرة، وخدم بالجيش الفرنسى خمس سنوات فى الحرب العالمية الأولى، وكان عضوا بالمجمع اللغوى المصرى، والمجمع العلمى العربى فى دمشق، متخصص فى الفلسفة والتصوف الإسلامى، ومن كتبه: (الحلاج الصوفى الشهيد فى الإسلام)، صدر فى سنة ١٩٢٢ وله كتب وأبحاث أخرى عن الفلسفة والتصرف، وهو من كبار محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

● **د. ب. ماكدونالد D. B. Macdonald**

أمريكى من أشد المتعصبين ضد الإسلام والمسلمين، يصدر فى كتاباته عن روح تبشيرية متأصلة. من كبار محررى «دائرة المعارف الإسلامية» ومن كتبه:

- (تطور علم الكلام والفقه والنظرية الدستورية فى الإسلام) صدر سنة ١٩٠٣.

- (الموقف الدينى والحياة فى الإسلام) صدر سنة ١٩٠٨.

● **ما يلز جرين M. Green**

سكرتير تحرير مجلة «الشرق الأوسط».

● **مجيد قدورى**

مسيحى عراقى، رئيس قسم دراسات الشرق الأوسط بجامعة جون هوبكنز فى واشنطن، ومدير معهد الشرق الأوسط للأبحاث والتربية بواشنطن متعصب حقود على الإسلام وأبنائه، ومن كتبه المشحونة بالطعون والأخطاء: «الحرب والسلام فى الإسلام» صدر فى سنة ١٩٥٥، له مقالات أخرى.

● **د.س. مرجوليوث D. S Margoliouth**

إنجليزى متعصب ضد الإسلام، ومن محررى «دائرة المعارف الإسلامية».

كان عضوا بالمجمع اللغوى المصرى والمجمع العلمى فى دمشق. ومن كتبه:

- (التطورات المبكرة فى الإسلام) صدر فى سنة ١٩١٣.

- (محمد ومطلع الإسلام)، صدر فى سنة ١٩٠٥.

- (الجامعة الإسلامية)، صدر فى سنة ١٩١٢.

● **ر. ل. نيكولسون R. L. Nicholson**

كان من أكبر مستشرقى إنجلترا المعاصرين، ومن محررى (دائرة المعارف) تخصص فى التصوف الإسلامى والفلسفة، وكان عضوا بالمجمع اللغوى المصرى. وهو من المنكرين على الإسلام أنه دين روحى، ويصفه بالمادية وعدم السمو الإنسانى، ومن كتبه:

- (متصوفو الإسلام). صدر فى سنة ١٩١٠.
- (التاريخ الأدبى للعرب). صدر فى سنة ١٩٢٠.

• هارفلى هول

رئيس تحرير «مجلة الشرق الأوسط» الأمريكية، وخطورته أنه يوجه سياسة مجلة من أهم المجلات المعنية بشؤون الشرق الأوسط السياسية والثقافية فى العصر الحديث.

• هنرى لامنس اليسوعى H.Lammens

فرنسى ١٨٧٢-١٩٣٧: من محررى «دائرة المعارف» شديد التعصب ضد الإسلام والحقد عليه، مفرط فى عدائه وافتراءاته لدرجة أقلقت بعض المستشرقين أنفسهم!! (انظر ص ١٥ - ١٦ من ١، من المجلد ٦ يناير سنة ١٩٢٥ من «مجلة جمعية الدراسات الشرقية» الأمريكية) ومن كتبه:

- (الإسلام):
- (الطائف).

• يوسف شاخت J. Shacht

ألمانى متعصب ضد الإسلام والمسلمين، له كتب كثيرة عن الفقه الإسلامى وأصوله، من محررى «دائرة المعارف الإسلامية، ودائرة معارف العلوم الاجتماعية»، وأشهر كتبه: «أصول الفقه الإسلامى».

جدول رقم (٣)

بعض الكتب المتطرفة

المشوهة للإسلام، والشائعة الانتشار أو لها شبه حجية عند المسلمين موسوعات:

- «دائرة المعارف الإسلامية» The Eneyclopaedia Of islam صدرت بعدة لغات حية، ويعاد طبعها فى الوقت الحاضر. وقد ظهر بعض أجزاء الطبعة الجديدة بالفعل.
- «موجز دائرة المعارف الإسلامية»

Shorter Encyclopaedia Of Islam

- «دائرة معارف الدين والأخلاق»

Encyclopaedia Of Religion And Ethhics

(المقالات المتعلقة بموضوعات إسلامية).

- «دائرة معارف العلوم الاجتماعية»

Encyclopaedia Of Sacial Sciences

(الموضوعات المتصلة بالإسلام والعرب).

- «دراسة فى التاريخ»

(القسم المتصلة بالإسلام ورسوله) من تأليف أرنولد توينبى A.Toynbee

المكتب:

- ««حياة محمد» من تأليف سير وليام موير W.Muir
- «الإسلام» من تأليف الفرد جيوم A.Geom
- «دين الشيعة» من تأليف ر.م. دونالدسون D. M. Donaldson
- «تاريخ شارل الكبير» من تأليف القس تربين Bishop Turpin

obeikandl.com

- «الإسلام» ظهر بالفرنسية من تأليف هنرى لامنس H.Lammens.
- «الإسلام» (تحد لعقيدة) ظهر بالإنجليزية من تأليف المبشر زويمر S.m. Zweimer
- «دعوة المئذنة» ظهر بالإنجليزية من تأليف كينيت كراج K. Crag
- «الإسلام اليوم» بالإنجليزية من تأليف أ. ح. أبرى A. J. Arbrry
- الترجمة الإنجليزية من وضع أ. ج. أبرى.
- «تاريخ مذاهب التفسير الإسلامى» ظهر بالألمانية وترجم إلى العربية من تأليف جولد زيهر Goldziher.
- «تاريخ العرب» ظهر بالإنجليزية والعربية، وطبع عدة طبعات، من تأليف فيليب حتى.
- «اليهودية فى الإسلام» ظهر بالإنجليزية من تأليف إبراهام كاش.
- «عقيدة الإسلام» ظهر بالإنجليزية من تأليف أ. ج. فينسينك.

Wensink

- «الحلاج الصوفى الشهيد فى الإسلام» ظهر بالفرنسية من تأليف لوى ماسينيون L. Massingon.
- «الحرب والسلام فى الإسلام» ظهر بالإنجليزية من تأليف مجيدى قدورى.
- «تطور علم الكلام والفقه والنظرية الدستورية فى الإسلام».

ظهر بالإنجليزية من تأليف د. ب. ماكدونالد O. B. Macdonald.

- «الاتجاهات الحديثة فى الإسلام» ظهر بالإنجليزية وترجم إلى العربية، من تأليف هـ. أ. ر. جب Gibb.
- «طريق الإسلام» ظهر بالإنجليزية وترجم إلى العربية من تأليف جماعة من المستشرقين اشترى فى تأليفه ونشره . أ. ر. جب.
- «التصوف فى الإسلام» ظهر بالإنجليزية، وترجم إلى العربية من تأليف ر. أ نيكلسون Nicholson.

- «مصادر تاريخ القرآن» بالإنجليزية من تأليف آرثر جيفرى Arthur Jeffry.
- «أصول الإسلام فى بيئته المسيحية» بالإنجليزية من تأليف ر. بل R. BELL
- «مقدمة القرآن» بالإنجليزية من تأليف ر. بل.
- «التطورات المبكرة فى الإسلام» بالإنجليزية من تأليف د. س. مرجوليوث D. S. Margoliouth.
- «محمد ومطلع الإسلام» بالإنجليزية ولنفس المؤلف.
- «الإسلام» بالإنجليزية ولنفس المؤلف.
- «الجامعة الإسلامية» بالإنجليزية ولنفس المؤلف.
- «قنطرة إلى الإسلام» ظهر بالإنجليزية من تأليف أريك بيتمان.
- «إسلام العصور الوسطى» ظهر بالإنجليزية من تأليف ج. فون جرونباوم G. von Grunebaum.
- «الإسلام» مجموعة مقالات متفرقة ظهرت بالإنجليزية للمؤلف السابق.
- «الأعياد المحمدية» بالإنجليزية ولنفس المؤلف.
- «الوحدة والتنوع فى الحضارة الإسلامية» بالإنجليزية ولنفس المؤلف.
- «دراسات فى تاريخ الثقافة الإسلامية» بالإنجليزية ولنفس المؤلف.
- «محاولات.. فى شرح الإسلام المعاصر» مجموعة مقالات ظهرت بالإنجليزية لنفس المؤلف.

الدوريات:

- «مجلة العالم الإسلامى» The Muslim World مجلة تبشيرية تصدر بالإنجليزية فى هارتسورد بأمريكا، وتوزع فى جميع أنحاء العالم.
- «مجلة العالم الإسلامى Le Monde Musalman مجلة تبشيرية تصدر بالفرنسية فى فرنسا. وتوزع فى جميع أنحاء العالم.

● «مجلة جمعية الدراسات الشرقية» أنشأهـا المستشرقون الأمريكيون فى جامبير Gombier بولاية أوهايو Ohio وكان لها بعض فروع فى أوربا وكندا.

● «مجلة شؤون الشرق الأوسط» تصدر بالإنجلـيزية فى أمريكا، ويحررها عدد من المستشرقين المعادين للعرب والمسلمين، واهتمامها موجه فى الدرجة الأولى إلى الجوانب السياسية..

● «مجلة الشـرق الأوسط» مجلة أمريكية سـياسية تتعـرض للإسلام من وقت لآخر فى بعض المقالات..

obeikandl.com

كتاب «مجد الإسلام»(*)
لجاستون فييت

«هذا (الكلام الفارغ) هو الحديد والنار اللذان يحاربنا بهما أعداؤنا.. والحديد والنار لا يقابلان إلا الحديد والنار، وفى ميدان العلم الحديد والنار هما العمل والعمل الطويل..».

هذا واحد من عشرات الكتب التى تنشر هنا كل شهر..

كتب كثيرة يكتبها الأعداء والخصوم.

مهما كان رأينا فيها، فإنها تمثل خطة وجهدا وسنوات من العمر.

إنها أسلحة يحاربوننا بها، أسلحة تنفعهم فى المعركة، لا مجرد فقاقيع يلعب بها الهواء ثم تتلاشى...

إننا قد نسخر منها، ولكنها فى النهاية تؤذينا.. إنها سم يستقر فى الجسد.

وماذا نفعل نحن لنتقى هذا السم؟

هل نتجاهله ونقول: كلام فارغ!

هل نكتفى بمقال ننشره فى صفحنا نطمئن به أنفسنا على أن كل شىء بخير!!

إن هذه الكتب تنشر فى الدنيا كلها على نطاق واسع..

والرد عليها لا يكون إلا فى الدنيا كلها وعلى نطاق أوسع..

وذلك يتطلب عملا شاقا..

وهذا بالضبط هو واجبنا اليوم: العمل الشاق..

إن الدنيا لا تحترم كتابا يكتبه صاحبه وكأنه يتسلى: كلمتان من هنا وكلمتان من هنا، وعنوان.. وهذا هو الكتاب..

(*) دراسة للأستاذ الدكتور حسين مؤنس أستاذ التاريخ الإسلامى بجامعة القاهرة. نشرت بالملحق الأدبى لجريدة الأهرام (أهرام الجمعة) وتتضمن عرضا وتحليلا ومناقشة للفكر الاستشراقى من واقع إنتاجه العلمى.

obeikandl.com

ولكن الدنيا كلها تحترم أى مؤلف جاد.

مهما كان موقف القارئ منك، فهو يشعر أنه مرغم على احترامك..

وليس فى الدنيا شىء أدعى للاحترام من العمل الجاد.

إننى لا أعرض هذا الكتاب لأسلى القارئ. أو لأهون عليه أمر خصومنا:

إننى أعرضه لأهيب بأهل العلم: قوموا واعملوا. إذا كنتم تريدون أن يزيد احترامنا فى قلوب الناس.

• المؤلف: لم يفهمنا ولم نفهمه:

هذه محاولة لإنجاز تاريخنا الطويل فى نيف و ٣٥٠ صفحة، حاول (جاستون فييت) أن يقدم (بانوراما) لتاريخ الإسلام.

والطريقة التى سار عليها طريقة معروفة اتبعها غيره فى تلخيص تواريخ غيرنا من الأمم، وهى عرض التاريخ عن طريق صفحات مختارة من أقوال المؤرخين والكتاب المعاصرين لكل فترة من فترات هذا التاريخ إذا أمكن.

ومهمة المؤلف فى أمثال هذه الكتب هى تحديد الاتجاه الذى سيسير عليه الكتاب، ثم فى اختيار الصفحات بناء على ذلك الاتجاه، وأخيرا الربط بينها بعبارات مختصرة قدر الإمكان.

وهنا خطورة هذا الطراز من التأليف: لأن المؤلف مهما اجتهد فى تحرى الإنصاف فى الاختيار لا يمكن أن يتخلص من شخصيته وميوله، ولا يمكن بالتالى أن يقول: إن الكتاب ليس من تأليفه وتوجيهه، أو إنه لا يمثل رأيه.

فالكتاب ليس كتابه من ناحية، لأنه مجموع مختارات.

والكتاب كتابه من ناحية أخرى لأنه هو الذى اختار ورتب ربط المتفرقات.

وهو منقود بسبب الاختيار.

وهو منقود مرة أخرى بسبب الربط والتوجيه.

وقل أن ألف رجل كتابا على هذا المنهج ثم سلم من النقد الشديد.

والمؤلف هنا فرنسى، والفرنسى، مهما بلغ علمه، ومهما قيل عن تجرده لا يمكن أن ترضى نفسه بإنصاف العرب والمسلمين بحال!

وهو رجل معروف لنا: كان مديرا لمتحف الفن الإسلامى سنوات طويلة.

وقد كتب تاريخا عاما لمصر الإسلامية مرتين.

وترجم كتاب الأيام لطه حسين، ويوميات نائب فى الأرياف لتوفيق الحكيم ومجموعة قصص (بنت الشيطان) لمحمود تيمور.

وكتابه الذى ألفه مع (لوى هو تكور) عن مساجد القاهرة معروف وهو الذى نشر جزءا كبيرا من خطط المقريزى.

وقبل أن يصدر كتابه الذى نعرضه اليوم نشر قطعة كبيرة من بدائع الزهور لابن إياس بعنوان لطيف: (يوميات رجل من الأوساط من أهل القاهرة).

وهو إذن رجل كان من المنتظر أن يعرفنا جيدا.

وكنا نحسب أننا نعرفه جيدا.

• هذا الحقد القديم المتجدد:

ولكن كتابه هذا يدل على أننا كنا مخطئين فى الأمرين معا:

فلا نحن عرفناه؛ ولا هو عرفنا كما ينبغى أن يعرف الناس الناس.. وفى عرضه المجهد لتاريخنا فاتته أهم الحقائق التى سيرت هذا التاريخ:

استحوذت على اهتمامه حوادث السياسة والوقائع والحروب، فمضى يتابع قيام الدولة وسقوطها والحروب ووقائعها.

وفاته أن للعرب والمسلمين تاريخا آخر غير هذه السلسلة الطويلة من وقائع السياسة والميادين.

فاته تاريخ المجتمع الإسلامى: كيف تكون وكيف قام، وتاريخ اللغة العربية كيف سارت من الخليج إلى المحيط، وتاريخ الحضارة الإسلامية، وهو فى الواقع كتاب تاريخ أمتنا جميعا..

فليس بين فصول كتابه فصل واحد عن انتشار الإسلام وكيف كان؟!

وليس هناك سطر واحد عن لغة العرب وكيف أصبحت لغة الملايين؟!

ولا ذكر فى كتابه لنواحى حضارتنا كل ما هناك هو أنه يقف فى نهاية الكتاب. فيقـول: إن حضارتنا ركدت بعـد القرن الخامس عشر، لأنهـا لم تقم على أساس حضارة اليونان!

وهذا أعجب ما سمعناه من مؤرخ!!

وهذا أغرب ما يمكن أن يقوله عالم له هذه الخبرة بتاريخ المسلمين!!

إن صاحبنا يجرى فى تيار هذا الخيـال الفرنسى الذى يعود إلى حضارة الإغريق بكل شىء. والمؤرخون فى الدنيـا كلها قد نزعـوا عن ذلك الوهم الذى ساد الفكر الأوربى إلى الحرب العالمية الأولى..

لأن حضارة أوربا اليوم ليـست استمرارا لحضارة الإغريق، ولو كـانت استمرارا لها لكنا نقـول اليوم بهذا الـشطط الذى قاله أفلاطون فى (الجـمهورية) داعـيا إلى جعل الحكم فى أيـدى طائفة مخـتارة من الناس يتصـاهرون فيمـا بينهم، ويلدون أطفالهم بصورة جمـاعية، ثم تربيهم الدولة محافظة على سـلامة الجنس الممتاز!! وماذا أقول؟ ألا يعرف المؤلف أن أحدا من الشعوب لم يدرس أرسطو كما درسناه، وأن قوما لم يهتموا ببطليموس كما اهتممنا به؟!

ولكنى أعود فأقول: إن المؤلف فرنسى، والفرنسى لا يفهم العربى أبدا.

هناك ستار من الحقد عند أصحابنا أبناء فرنسا يحول بينهم وبين أن يفهمونا!

حقد قديم يرجع إلى الحروب الـصليبية، والفرنسيون يعتقـدون أنها كانت حربا بين فرنسا والإسلام...

وحقد جديد بدأ سنة ١٨٣٠ عندما اعتدى الفرنسيون على الجزائر..

حقد على عرب المغرب، لأنهم لم يستسلموا لفرنسا ويقدموا بلادهم هدية لها!

وحقد على عرب المشرق لأنهم لم يتركوا إخوانهم لها تفعل بهم ما تريد..

وحقد لأن فرنسا لا تعرف كيف تخرج من المشكـلة التى أوقعت نفسها فيها فى المغرب.. راحت الجـمهورية الرابعـة وستروح الجمـهورية الخامـسة هلك الألوف وضاعت الملايين!

حقد نحن ضحيته ونحن ناره التى تتقد!!

حقد يفسد كل ما يكتبه الفرنسيون عنا. فلنر إذن كيف أفسد الحقد هذا الكتاب:

• التشويه يبدأ من الصفحة الأولى:

يبدأ ذلك من الفصل الأول عن محمد صلوات الله عليه.

وهو كغيره من المستشرقين الفرنسيين يردد نفس الأفكار التى حالت بين جمهور قرائهم وفهم صاحب الرسالة عليه السلام.

من هذه الأساطير مثلا: أن بنى أمية كانوا قبل الإسلام أغنى وأعز عن بنى هاشم.

مع أنهم يعرفون أن أعلا ذروة بلغها قرشى قبل محمد ﷺ كانت لعبد المطلب وهو ابن هاشم وجد النبى المباشر.

وأن بنى عبد شمس بن عبد الدار كانوا أفقر وأضعف بكثير من بنى هاشم ابن عبد مناف.

وهو يعتمد فى حوادث السيرة على كتاب البدء والتاريخ للمقدسى، والمقدسى من أهل القرن العاشر.

وهو يصور لقرائه أن القرآن الكريم كتاب غير منزل.

ونحن نطالبه بأن يعتقد ما نعتقد، فليس من الضرورى ألا يكتب عن الإسلام غير مسلم، ولكن إيمان المسلمين بنبيهم وألوهية رسالته، هو الأساس الذى يقوم عليه الكيان الإسلامى كله، لابد أن يقول المؤرخ لقرائه ذلك، ولابد أن يعينهم على إدراك قوة هذا الإيمان، حتى يضعوا أيديهم على سر القوة فى تاريخ المسلمين.

أما إلقاء الشك والسخرية فيترك القارئ وهو لا يدرى كيف حقق المسلمون ذلك كله.

وعلى هذا فإن محمدا الذى يصوره أولئك المستشرقون ليس محمدا رسول الله الذى نحن على دينه: إنه رجل من صنع خيالهم وتصورهم.

وإذا كان محمد ﷺ هو عماد تاريخ الإسلام كله، فإن تاريخ الإسلام الذى يصوره أولئك المستشرقون ليس تاريخ الإسلام.

ولكن (فييت) يختم هذا الفصل عن السيرة بعبارة للطبرى فى صفة الرسول ﷺ: صفته الجسمانية، أما صفاته الروحية وشمائله الخلقية فيوجزها فى عبارة لا تخرج منها إلا بأنه كان سياسيا ماهرا.

● شتان بين إعجاب وإعجاب:

ويمر المؤلف مسرعا بأبى بكر وعمر دون أن يخطر بباله أن يتفكر لحظة فى ملكات هذين العبقريين. الفتوح الإسلامية فى نظره غزوات، ومعاهدات الصلح لا هدف لها إلا الجزية والخراج!!

ثم ينتقل إلى بنى أمية...

والفرنسيون معجبون ببنى أمية...

وسر الإعجاب أن جدهم أبا سفيان كان عدو الرسول ﷺ واقرأ إذا أردت ما كتبه عميدهم (هنرى لامانس) عن معاوية ويزيد وعبدالملك وبقية بنى مروان، ونحن معجبون ببنى أمية.

ولكن شتان بين الإعجابين:

فهم معجبون بهم عن طريق الحقد، ونحن معجبون بهم عن طريق الحب:

يعجبنا حلم معاوية ورجولته وسياسته وتوحيده أمر المسلمين..

وتعجبنا عروبة عبدالملك بن مروان وإيمانه بها الذى خطا بسير التعريب خطوات حاسمة إلى الأمام.

ويعجبنا إيمان الوليد وسليمان وما تم على يديهما من فتوح..

وتعجبنا من بنى أمية الفحولة والأصالة والشهامة والعروبة..

ولكن ماذا يعجب الفرنسى من بنى أمة؟

يعجبهم أبو سفيان لأنه حارب رسول الله ﷺ.

ويعجبهم معاوية لأنه انتزع الخلافة من يد على.

ويعجبهم يزيد لأنه قتل الحسين وأمر جنده بمهاجمة مكة.

ويعجبهم تمثيل الحجاج بأهل العراق، ويعجبهم خبث المغيرة بن شعبة.

وهذه هى معظم الصفحات المختارة عن بنى أمية!

• وهذا تاريخ بنى العباس:

وينتقل إلى بنى العباس، فماذا يختار عن بنى العباس؟

بناء بغداد (عن ابن واضح اليعقوبى).

وهو يختار هذه القطعة ليقول: إن الدولة الإسلامية خرجت من يد العرب، وهو يصر على هذه الفكرة إصرارا غريبا، كأنها وجدت من نفسه هوى..

ثم ينقل عن أبى يوسف القاضى نص رسالة ابن المقفع فى معاملة أهل الذمة، ينقلها لكى يؤكد ما يقوله غيره من المستشرقين عن سوء حالهم فى ظلال الإسلام.

وهذه الرسالة مكذوبة، وقد أثبتنا فى أبحاثنا أنها من مخترعات طوائف الفرس الحاقدة على العرب والإسلام.

ثم ينقل عن ابن خلدون فقرة قصيرة عن نشوء مذاهب التشريع الإسلامى.

وأى مؤرخ يعرف ما هو التاريخ، ينبغى أن يقف طويلا أمام عبقريات مالك وأبى حنيفة والشافعى وابن حنبل، تلك التى وضعت تشريعات تروع النفس، عاشت منها وفيها جماعات المسلمين جيلا بعد جيل.

وأين العبقرية التشريعية اليونانية من عبقريات مشرعى الإسلام؟!

ويخصص المؤلف ضعف هذا الحجم لوصية عبدالحميد الكاتب للكتاب..

وعندما يصل إلى هارون الرشيد لا يورد عنه إلا قطعة من يوميات (أجينار)، مؤرخ شرلمان تصف سفارة الرشيد إليه...

وهذه السفارة على ما هو معروف أسطورة من الأساطير...

وما كان هارون الرشيد ليعنى بشارلمان هذا أو يرسل إليه سفارة وهدية...

ولكن المؤرخ الغربى يتمسك بها..

لأنها تقول: إن الرشيد أرسل مفاتيح بيت المقدس للملك الفرنسى.

وهذا هو بيت القصيد!

وليس فى تقاليدنا هذا الشىء الذى يعرف بمفاتيح المدن.

ولا يمكن أن نتصور سببا معقولا يجعل الرشيد يفكر فى هذا..

ولكن ما حيلتنا؟ إنهم يشعرون بالسعادة إذ يرددون ذلك!!

وقطعة أخرى يذكرها عن الرشيد: نكبة البرامكة برواية المسعودى..

وتلى ذلك حروب الأمين والمأمون.. إنه يخصص لها ٦ صفحات بينما خصص لرسول الله ﷺ ١٤ صفحة.

● الفضل كله للفرس والترك:

وفى أثناء ذلك يقف طويلا ليتحدث عن انفصال الأندلس.. ولكى يتكلم عما يسميه استقلال المغرب، وهو لا يسميه المغرب، وإنما باسم يولع به الفرنسيون، وهو «لا بربيرى» أى بلاد البربر.

وهذه التسمية فى ذاتها دسيسة: دسيسة تافهة، لأن أهل المغرب عرب، وهم يؤكدون للفرنسيين أنهم عرب.

ولكن المستعمر الفرنسى خلال القرن الماضى تصور أنه يستطيع أن يفصل المغرب عن الوطن العربى إذا أوهم أهله أنهم ليسوا عربا.

وقد فشلت الدسيسة، ولكن الوهم لازال يعمر أذهان الفرنسيين.

وهم سعداء جدا -فيما يبدو - بذلك الوهم!!

وبدلا من أن يقف المؤلف طويلا عند قيام الدولة الأموية بالأندلس، ويدل قراءه على عبقرية عبدالرحمن الداخل.. لا يذكره إلا فى سطور، ثم يسرع للتحدث عن بنى رستم الخارجين فى تاهرت (برواية الخارجى أبى زكريا) وعن الأدارسة.. بل عن بنى مدرار أصحاب سجلماسة.. ثم يقول بكل سعادة: «وهكذا سيكون الشمال الأفريقى كتلة ترفض الطاعة للخلافة المشرقية»!

ثم يعود إلى المشرق ليتحدث عن المأمون:

وماذا يقول عن المأمون؟

إن دولته دولة فارسية لا أثر للعرب فيها!

وما دام قد انتهى إلى أن المأمون غير عربى، فهو لا يجد غضاضة فى أن يتحدث عن نهضة العلوم أيام المأمون.. فهى نهضة غير عربية!

ويتبع ذلك بفقرة ينقلها عن ميخائيل الصورى يتحدث فيها عن مدرسة حران.

ثم يقف طويلا عند المعتزلة، ومن عجب أن ينقل كلامه عنهم عن المسعودى دون غيره من الأصول.

وينتقل للحديث على المعتصم والترك، ويتخير بالذات فقرات من رسالة الجاحظ فى فضلهم..

ولم ترض نفسه قبل ذلك بإيراد فقرة -ولو نصف هذه- عن فضل العرب لأن العرب بالنسبة له ولأمثاله سم ينبغى أن يتحاشاه.

● القرامطة طلاب عدالة وإصلاح:

وهو يختار من تاريخ الأعصر العباسية ما يحس فى نفسه أنه يسيئ إلى العرب والإسلام..

يروى قصة مصرع الخليفة المتوكل (برواية الطبرى)..

ويقص تفاصيل فتنة الزنج فى جنوب العراق (برواية النويرى).

ويطيل الحديث عن القرامطة برواية الطبرى.

ويأتى بنص خطاب أحمد القرمطى إلى الخليفة المقتدر. وهو خطاب يصورهم فى صورة طلاب عدالة وإصلاح!

ويتلذذ إذ يورد فقرة للمسعودى تصف القرامطة للحجر الأسود.

● صورة تقبض النفس:

وهكذا تتوالى الصفحات والمختارات.

كلها يرمى إلى تصويرنا كما يود أن يرانا العدو اللدود.

فهو يتحدث مثلا عن قيام دولة الفاطميين فى المغرب، فلا يجد ما يختاره إلا قطعة طويلة لابن الأثير، تصور ثورة أبى يزيد بن مخلد عليهم، وهى ثورة كادت تقضى على دولتهم، وأبو يزيد هذا مشعوذ محتال.

وينتقل إلى الأندلس ليتحدث عن عبدالرحمن الناصر، فلا يجد من الصفحات الجميلة التى كتبها المؤرخون عن ذلك الخليفة المجيد -الذى كان أعظم حكام أوربا فى عصره -إلا وثيقة إعلان نفسه خليفة.

ويعود مسرعا إلى الشرق ليتحدث عن الدولة المنشقة، تلك التى انتهت بالقضاء على وحدة الدولة العباسية: الصفاريين، والسلمانيين، والطاهريين، والبويهيين، ويطيل الوقوف عندهم وينقل الصفحات بعد الصفحات.

لماذا؟

لأنه يرى أنها دولة فارسية!

وللفرنسيين من زمن بعيد حب للفرس، كما حاولوا فى المغرب فصل المغاربة عن العرب، فكذلك فى أقصى المشرق، حاولوا -ولازالوا يحاولون- الإيقاع بين العرب وبين شعب فارس، وصاحبنا هنا يكاد يرد كل شىء فى تاريخنا إلى الفرس، وهو إذ يطيل الحديث عن رجل مثل يعقوب بن الليث الصفار، يعود بين الحين والحين ليلقى نظرات سوداء على خلافة بغداد.. المقتدر والراضى والمتقى. إلخ والصفحة المشرقة الوحيدة التى يأتى بها هى التى تتحدث عن التجارة، وكيف كان تجار المسلمين يقطعون الأرض بتاجرهم «من خر غانة إلى غانة» كما قال الحريرى على لسان صاحبه أبى زيد السروجى.

وقد اعتمد فيما نقله على ابن خرداذبة وناصرى خسرو والبيرونى والإدريسى وابن جبير.

ويعود ليحدث عن الفاطميين.

يقف طويلاً عند خطاب الأمان الذى أذاعه جوهر الصقلى عند دخوله القاهرة ثم يحكى قصة اختطاف القاهرة برواية المقريزى.

وهو معجب بالفاطميين، لأن مذهبهم لم يلق قبولا من جماعة المسلمين.

إنه ينقل الصفحات بعد الصفحات عن ناصرى خسرو.

ويقف طويلا عند الخليفة الحاكم.

وينتقل إلى السلاجقة فيمر بهم تمهيدا للحملة الصليبية الأولى.

ويختم الفصل بعبارة لوليم الصورى يقول فيها: إن الصليبيين عندما دخلوا بيت المقدس قتلوا من أهله ٦٥ ألفاً..

• واجبنا اليوم: العمل حتى الموت:

ويطول بنا الحديث لو مضينا نستعرض المقتطفات حتى آخر الكتاب.

إنه لا يقف به إلا عند سليمان القانونى.

وعنوان كتابه «مجد الإسلام، من محمد إلى فرنسوا الأول»..!

ولا ندرى ما العلاقة هنا بين رسول الله ﷺ وهذا الملك الفرنسى الذى يذكره التاريخ بهزيمته المشينة عند مارينيافوا سنة ١٥٥١،

ولكنها بدعة جروا عليها هناك.. فالمؤرخ البلجيكى (هنرى بيرين) له كتاب مشهور عنوانه محمد وشرلمان..

وفى العام الماضى نشر راهب كندى كتابا عنوانه محمد والقديس فرنسوا..

نحن لا يرضينا أن يذكر اسم نبينا على هذه الصورة لمجرد الحصول على أسماء جذابة لمؤلفات.

والمهم، هنا أن (جاستون فييت) يقول فى آخر كتابه: إنه يقف بالكتاب عند أسماء باهرة كأسماء (البابا ليو العاشر ومارتين لوثر وهنرى الثامن وفرنسوا الأول وشارلمان وكالفين وسليمان القانونى) وهم فى رأيه أعلام التاريخ العالمى فى القرن السادس عشر!!

وهذا القرن يعتبر فى رأيه نهاية مجد المسلمين وأول مجد الأوربيين.

فكل اسم ذكره يعنى فى حسابه نهضة شعب من شعوب أوربا، أو قيام حركة إصلاحية كبرى فيها، وسليمان القانونى هو فى حسابه آخر العظماء من ملوك الإسلام.

وأن العالم الإسلامى اتجه بعده إلى الانحدار السريع..

وهنا ينبغى أن نقف ونفكر..

لأننا كأمة ناهضة وكناس يأخذون الحياة مـأخذ الجد.. لا يليق بنا إذا رأينا شيئا لا يعجبنا أن نلقيه بعيدا ونقول: كلام فارغ.

صحيح أن فيـه كذبا وتضليلا: صحيح أنه صادر عن حقـد عميق، ولكنه ليس كلاما فارغا، ولا يخدمنا فى شىء أن نلقيه بعيدا ثم نجر اللحاف وننام..

لأن هذا «الكلام الفارغ» هو الحديد والنار اللذان يحاربنا بهما أعداؤنا.

والحديد والنار لا يقابلان إلا بالحديد والنار.

وفى ميدان العلم، الحديد والنار هما العمل، والعمل الطويل. إذا كان هذا الذى كتبه فييت «كلاما فارغا.. فلنشمر عن سواعدنا ولنكتب نحن الشىء المليان».

هل تذكر العـبارة المضـحكة التى قالها مـراد بك عندما سـمع أن الفرنج نزلوا بساحل الإسكندرية؟ قال: هؤلاء مثل حب الفستق، للكسر والأكل!

ثم تبين بعد ذلك أنهم ليسوا فستقا ولا بندقا، وإنما هم حرب ودمار..

لقد ندم مراد بك على كلمته وهو يجمع ملابسـه ليجرى هاربا إلى الصعيد بعد معركة الأهرام..

أما نحن فليس أمامنا وقت للندم..

ليس أمامنا إلا أن نعمل.. ونعمل حتى الموت.

لنتصور الجهد الذى بذله هذا الرجل الفرنسى وهو فى سن السبعين:

جهد فى الجمع والترتيب والاختيار..

وهو فى الواقع جهد شاق، ولا يعرف الشوق إلا من يعانيه..

لنعمل إذن.. ففى أعناقنا مسؤولية عالم كبير..

إن بعضنا يلعب ويتصور أنه يعمل: يـنظر فى الصفـحات التى كتبـها الطـبرى أو ابن سعد مثلا عن عمر بن الخطاب ثم يكتب سلسلة كتب عن عمر بن الخطاب.

لو كان هذا هو العمل لما حمل الهم أحد..

والهموم على قدر الرجال..

ورحم الله أبا الطيب حين قال: «على قدر أهل العزم تأتى العزائم».

المستشرقون الناطقون بالإنجليزية

ومدى اقترابهم من حقيقة الإسلام والقومية العربية

بقلم: أ. ل. طيباوى(*)

(١)

ليس هناك من جهود أكاديمية فى عالم الدراسات الإنسانية تكاد تكون أسوأ حظاً فى مواردها وسوابقها من الدراسات الإسلامية والعربية فى الغرب. وليس من غرض هذا المقال أن يعطى تفصيلات فى هذا التاريخ المؤسف، ويكفى لذلك فى هذا المقال أن نلقى نظرة مجملة على هذا التاريخ فى معالمه السريعة لتكون هذه النظرة مقدمة بين يدى دراستنا فى موضوعها المحدد(١).

ومنذ البداية تبدو جذور العداوة اليهودية المسيحية للإسلام فى آيات القرآن فما كان أسرع أهل الكتاب لتكذيب محمد بل لتحديه فى مهمته كحامل للرسالة الإلهية ومن هنا بدأت سلسلة المجادلات التى استمرت وإن تباينت الرايات المرفوعة فى معارك الجدل حتى أيامنا. وقد امتد نطاق هذا العداء نتيجة للأعمال السياسية والعسكرية التى قامت بها الدولة الإسلامية فى عهد الرسول وخلفائه، فتعدى حدود الجزيرة العربية ليضع الإمبراطورية البيزنطية ومن بعدها المسيحية العربية.

ولم يكن الإسلام المنتصر يتجاهل المجادلين البيزنطيين، أو يهمل الرد على محاولاتهم التخريبية المسمومة. ولكن ما لبث أن فاق البيزنطيين فى تنمية العداء والتحامل خلفاؤهم فى أوربا الوسيطة وذلك عن طريق بث المعلومات المشوهة أو الزائفة وهكذا كان الإسلام بالنسبة لهم من «عمل الشيطان»، وكان القرآن نسيجًا من السخافات «وكان محمد» دعياً «كذابًا» و«محتالا» و«عدواً للمسيح»!! أما المسلمون فهم ليسوا سوى نوع من المتوحشين لا يكاد يحظى بميزة إنسانية!!

(*) دراسة للأستاذ طيباوى نشرت بعدد يوليو سنة ١٩٦٣ مجلة THE MUSLIM WORLD وترجمها فتحى عثمان.

(١) إن دراسات الاستشراق فى المجالات الإسلامية والعربية هى بالطبع بناء دولى اشترك فيه المستشرقون الغربيون من إنجليز وفرنسيين وألمان وإيطاليين وغيرهم. والدراسة التى يتناولها المقال يمكن أن تطبق على معظم هؤلاء، وإنما حددت بالمستشرقين الناطقين بالإنجليزية لمراعاة مقتضيات البحث. وحتى فى هذا النطاق المحدد تناولت الدراسة فحسب الباحثين الذين لهم آراء منشورة تتعلق بموضوع الدراسة.

ومن العسير أن نحدد إلى أى مدى أثرت هذه الدعاية فى أوربا الغربية حتى استجابت لنداء الحروب الصليبية. ولكن من أبرز مظاهر الفشل فى هذا الصراع الطويل بين المسيحية والإسلام- وإن كانت أقلها وضوحًا- أنه لم يستطع أن يجتذب المسيحية رغم احتكاكها الطويل بالإسلام عن قرب إلى تلطيف حدة تحاملها أو تصحيح الصورة السائدة عن عدوها على الأقل. ومضى قرنان من النزاع وقد تزايد العداء عند كلا الجانبين. ولم تتناقص حدة التحامل أو الجهل بحقيقة الأمور.

ووقع القصاص من عدوان الحروب الصليبية فى عالم المسيحية. فبدلا من محاولة الاستيلاء على إقليم من مقدسات المسيحية. وبدلا من شن الحرب على العرب، بدأ اتجاه جديد ينال حظاً من التأييد. وهكذا أخذ فرنسيس الأسيزى Francis of Ossisi يبحث من خلال حماسه التبشيرى كيف يحول «الكفار» إلى جانب الإنجيل. وعن طريق ريموند لل Raymond lull الذى كانت تعتمد فى عقله الدوافع نفسها أدخل تعليم العربية فى المعاهد المسيحية فى الدراسات العليا[1]. ولكن الهدف من وراء هذه الدراسة مازال تخريبياً عدائياً إلى حد كبير، إنها تستهدف أن تعرف المزيد عن الإسلام لتكون أكثر تهيؤًا لعرض «نقائصه»! ولقد كان صاحب القداسة بطرس Peter the Venerable راعيًا لأول ترجمة لاتينية للقرآن كما كان هو نفسه صاحب حملة جدلية طائشة ضد الإسلام[2]. ولم يلحظ تقدم ذو قيمة نحو إدراك أفضل حتى وقت قريب نسبياً فقد اكتنف المحاولات الأولى الجادة جو النزاع من جديد. وأدت عودة المسيحيين للأندلس كما أدى توغل العثمانيين فى قلب أوربا إلى استثارة نيران البغضاء والتحامل، وهكذا تقهقرت إمكانيات التصور الصحيح والتعبير المنصف. وظل العالم القديم منقسمًا بين «دار الإسلام» و«دار الحرب»، ولا يلتقى القسمان إلا فى ساحة القتال أو صفحات الجدل البغيضة!

---

(١) قرر مجمع فيينا سنة ١٣١٢م إدخال العربية مع لغات أخرى فى جامعات باريس: بولونيا، أكسفورد، سلمنكا، Roman Curia انظر H. Rashdall: The Universities of Eueapein in the middle ages Oxford 1895 II. pp. 1, 30 81-2, 96.

وهو يقرر ص ٣٠ (أن الغرض من هذا القرار كان تبشيرياً خالصًا وكنسياً لا علمياً).

(٢) على سبيل المثال: Dmile Dermenghem: la vie de Mahomet Paris 1929, 136-R. W. Southern, Western Views of Islam in the Middle ages, Hgruord Ilsuis press. 1692, 37.

وأخيراً التقى الفريقان . . .

وإلى أن تم هذا اللقاء كان قد حدث تطوران عظيمان من تطورات التاريخ أولهما: أنه قد نمت فى أوربا الغربية قوى معينة بلغت ذروتها فى النهضة الأوربية Renaissance فى القرن الخامس عشر الميلادى، ودعت إلى ترجمة العلم الإغريقى نقلا عن علماء العرب فى الطب والرياضيات والفلسفة . . إلخ، على أن هذا الاتصال العلمى على اتصاله وعمقه لم يبد أنه أثر فى الصورة العقيدية أو الإلهية أو حتى الصورة التاريخية للإسلام فى النظرة المسيحية.

وتمثل التطور الثانى فيما أصاب وحدة العالم المسيحى تحت لواء الكنيسة من تمزق نتيجة للقوى الجديدة: سياسية واقتصادية ودينية، وقد تمخض عنها الإصلاح الدينى وظهور الدول القومية التى اشتعلت بينها غالبًا نيران المنافسة وشغفت بالمشروعات الطموحة للتوسع فيما وراء البحار. وكانت الدول القومية الحديثة فى رقعتها الصغيرة نسبياً قد اتجهت إلى تحقيق مصالحها ولو على حساب مصالح دول مسيحية أخرى أو العالم المسيحى فى مجموعه، وهكذا كانت البداية العملية لصلات دبلوماسية وتجارية مع البلدان الإسلامية على مدى أقرب مما تحقق من قبل.

وعلى الرغم من أن الجدل الدينى كان لا يزال فى مرارته ونشاطه كعهده من قبل، وعلى الرغم من أن الهدف التبشيرى كان يضاعف من سيطرته على مخيلة سلطات الكنيسة، فقد بدأت بواعث مدنية جديدة تأخذ حظها من الاعتبار على قدم المساواة إن لم تكن أكثر ولربما كان أوضح مثال لهذا التعبير بالنسبة لهذه الدراسة هو تقرير المراجع الأكاديمية المسؤولة فى جامعة كمبردج بالنسبة لإنشاء كرسى اللغة العربية فيها. فهذه المراجع تقرر فى خطاب مؤرخ فى ٩ مايو ١٩٣٦ إلى مؤسسى هذا الكرسى: «ونحن ندرك إننا لا نهدف من هذا العمل إلى الاقتراب من الأدب الجيد بتعريض كبير من المعرفة للنور - بدلا من احتباسه فى نطاق هذه اللغة التى نسعى لتعلمها، ولكنا نهدف أيضًا إلى تقديم خدمة نافعة إلى الملك والدولة عن طريق تجارتنا مع الأقطار الشرقية، إلى تمجيد الله بتوسيع حدود الكنيسة، والدعوة إلى الديانة المسيحية بين هؤلاء الذين يعيشون الآن فى الظلمات»[1]!!

(١) A.J. Asbesry, The Cambridge Sahooe of arabic. Cambridge 1948, p. 8.

ولكن معظم ما توصلت إلى معرفته الدراسات العربية أو الإسلامية التى أنشئت لتحقيق غرض جدلى أو تبشيرى أو تجارى أو دبلوماسى أو علمى أو حتى أكاديمى، قد ظلت طويلا عليها مسحة من ظلال عداء عميق الجذور وهذا أول جالس على كرسى العربية فى كمبردج يعد مشروعًا لم يكتمل إنفاذه قط لتفنيد القرآن! وكان ممن أعقبوه على هذا الكرسى فى أول مرة خلال القرن الثامن عشر من كتب مؤلفًا رائدًا عن «تاريخ العرب» History of the Saracans كما حبذ أن يقرأ القرآن لمعارضته أو تفنيده! هكذا يبدو أن المعرفة المتزايدة لم تقطع سوى خطوات محدودة لتبديد ما تراكم عبر القرون من موروثات!!

كذلك لم تحدث التغيرات التاريخية تحسنًا على الموقف. لقد وضع التوسع الأوربى فيما وراء البحار يده على مساحات كبيرة من ديار الإسلام على مر الزمن، وقد بلغ هذا التوسع ذروته فى القرن التاسع عشر عندما صارت أوربا سيدة لمنطقة إسلامية شاسعة يسكنها ملايين المسلمين. ولقد صحب الاستعمار السياسى أو اتبعه تعزيز ثقافى أكثر دهاء.

وتدهورت ثروة العالم الإسلامى إلى هاوية سحيقة، وأصبح مصير مدنيته إلى حد كبير فى أيدى القوى المسيحية[1].

وفى ظل الوضع الجديد بدأ التعليم المدنى يعد جذوره كما أتيح للعمل التبشيرى أن يكون ممكنًا. وتقاسم التعليم المدنى والتبشير المسيحى الاتجاه إلى تغذية نزعة التشكيك فى أسلوب حياة المسلمين- مجرد التشكيك على الأقل[2]. وعمل كل من السيد المسيحى (الجنتلمان) «بناء الإمبراطورية» والمبشر المسيحى «سفير المسيح» على التأثير بطريق مباشر أوغير مباشر فى مجرى التعليم فى البلدان

---

(١) على سبيل المثال: Proceedings of the Church Missionary society 1882. p. 5.
وفيه (أن حملة فتح مصر وما أثمرت عنه من آثار باحتلال إنجلترا لمناطق واسعة من البلاد هو مما يزيد مسؤولية المسيحيين الإنجليز فى تقديم إنجيل المسيح إلى مصر).

(٢) على سبيل المثال دكتور محمد البهى: تقديم كتاب الشيخ محمود شلتوت: الإسلام عقيدة وشريعة، مطبعة الأزهر ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م، ص ٣، ٥.

الإسلامية. وأخرجت هاتان الطبقتان من العاملين عددًا من المتخصصين الجدد فى العربية أو الفارسية أو التركية أو الإسلام كانوا روادًا بين أيدى المستشرقين الأكاديميين.

وكان الطريق مفتوحًا آمنًا كذلك أمام الرحالة المحب للاستطلاع. من لديه فراغ الوقت ورومانسية الخيال وثراء الجيب من الساعين إلى المعرفة الذين يخطون كتابات سطحية عن الشرق أو الآثار أو المخطوطات التى يتوصل إليها. ولكنا خلال هذا كله كنا نتبين ملامح الباحث المجرد مثل «أ. و. لين E. W. Lane» الذى لم يكن يكل أو يمل[1] واقتنع التبشير من كتابات هؤلاء أنه إذا كانت قوة الإسلام السياسية قد اهتزت فإن انحلال قوته الروحية وتحول أتباعه إلى المسيحية قد بات فى متناول اليد.

هكذا كانت زاوية النظر حين استهلت الجماعات التبشيرية البريطانية -وغيرها- عملها فى الشرق، فى بلدان أفريقية وحوض البحر المتوسط. ومنذ البداية كان هناك تجاوب متبادل إن لم يكن هناك تماثل فى المقصد بين المستشرق الأكاديمى والمبشر الإنجيلى. ويصدق هذا بصفة خاصة على المتجهين للدراسات العربية بجامعتى إنجلترا اللتين أدخلت فيهما دراسة العربية لتكون عونًا للدراسات الإلهية والإنجيلية عن طريق باحثين هم أنفسهم ينتظمون فى سلك هيئات دينية holy orders وهكذا عمل معهد مكبريد Mcbride فى أكسفورد ومعهد لى Lee فى كمبردج[2] لصالح جمعية الكنيسة Ghurch missionary Society التبشيرية فى ترجمة «بروتستنتية» للإنجيل والمزامير إلى العربية.

---

(١) عاون لين كثيرًا فى وضع معجمه شيخ أزهرى هو إبراهيم الدسوقى الذى كان مصححًا فى مطبعة بولاق انظر: A.A. Paton history of the Egyptian Revolution: (London 1870) II, 270 quoted by Heywarth- Dunne. Printing and Translation under Mohammed Ali of Egypt - in the journal of the Royal Asiatic Society, July 1940, 315.

(٢) تعلم (صموئيل لى) فى كلية Queen's College بمنحة دراسية من جمعية الكنيسة التبشيرية Church Missionary Society وذلك طبقًا لما جاء فى Committee Minutes II, 01,349.

وعاش التحالف بين الجانبين على وهنه خلال القرن التاسع عشر ولكنه بقى قائمًا بصورة من الصور إلى عهد مرجوليوث فى هذا القرن، ولم ينحل تمامًا قط. وتعلم الفريقان أن يراجعوا أهدافهم ومناهجهم، ولكن ظل هناك على حاله تيار عميق من الفكر السائد- ربما غدا الآن كامنا فى أعماق ما وراء الشعور- يذهب إلى أن الإسلام لابد أن يعاد تشكيله فى قوالب غربية Westernization أو عصرية modernization أو إصلاحية reformation وهكذا صلى المبشرون وجادل المستشرقون، وكتب الفريقان أو واصلوا الكتابة بدرجات متفاوتة من الدهاء وبعد النظر فى تناول الموضوع.

ولنحصر الآن دراستنا فى بريطانيا، فهى موضوع هذا البحث. على أن الدراسات الشرقية فى بريطانيا -كغيرها من البلاد- كانت مرتبطة بتطور الدراسات الإنسانية في الجامعات الأوربية نتيجة لتأثير هذا التطور فى دراسة التاريخ عمومًا وفى الاقتراب من حقيقة الإسلام بوجه خاص.

وأسهم الباحثون الإنجليز والفرنسيون والألمان وغيرهم من الباحثين من مختلف الأمم بجهود كبيرة من الدراسات العربية والإسلامية عن طريق التدريس والكتابة ونشر النصوص. استطاعت جهودهم مجتمعة أن تهيئ ظروفًا ملائمة لرعاية اتجاه متميز للاقتراب من حقيقة الإسلام يكون مخلصًا كما يمكن أن يصدق عليه وصف الأكاديمية[1].

وليس من شك أنه ثمة تقدم ملحوظ صوب هذا الهدف قد حدث. ولكن لا يشك كثيرًا أيضًا فى أن الوصول إلى هذا الهدف لم يتحقق لعدد ذى خطر من الدارسين المعاصرين للإسلام، سواء منهم من لقى ربه أو من لا يزال على قيد الحياة وجهودهم تنقسم بطبيعتها إلى قسمين متميزين: نشر النصوص والدراسات التحليلية، مما سيرد تفصيله فيما بعد. ولكن يمكن أن نقرر هنا على سبيل الإجمال أن النظرة العلمية للدارسين للإسلام من الناطقين بالانجليزية - وهم الذين نقصر

(١) لأجل العرض التاريخى انظر:

J. Fuck, Die Arabischer Studies in Europa bis in dee Anfang des 20. Yahrhunderst, Leipzrig 1955.

دراستنا عليهم فى السطور التالية- كانت أقل عمقًا فى دراسات هؤلاء منها فى نشرهم للنصوص. ولا تعوزنا الشواهد على قصور التمييز حتى بالنسبة لنشر ترجمة لبعض النصوص، حيث كان الموضوع يستسلم لأهواء «الآراء الثابتة المقررة» عن الإسلام. مما لا يزال قائمًا فى عقول الباحثين الغربيين[1].

ولربما كان من غير المألوف فى مثل هذه الدراسة أن نعنى بالمستشرقين الأحياء أكثر من عنايتنا بمن أصبحوا فى ذمة التاريخ. ولكن إذا كان العرف الجارى يتقبل تقديم عرض لكتاب ما يزال مؤلفه على قيد الحياة بمجرد ظهور الكتاب، والنقل عنه فى معرض التأييد أو التفنيد، فإنه يغدو من البحث المشروع بالتأكيد أن تناقش جهود أى مؤلف فى مجموعها أو أجزائها، مدى نجاحها إذا ما تناولت موضوعات لها أهميتها الحيوية. والأحياء- لا الموتى- هم القادرون على أن يرونا فى أنفسهم انعكاس النتائج التى تمخضت عن نشر آرائهم وهذا هو أحد مقاصد هذه الدراسة، أن تذكر بعض الباحثين بالصدمة التى تحدثها آراؤهم لعقل المسلم فى هذا العصر العلمى.

ولابد من إرجاء كلمة تحذير.. أن التحليل التالى- وهو ثمرة لدراسة وتأمل استغرقا وقتًا وجهدًا، لا يحمل أى روح للجدل، ويخطئ من يظنه اعتذارًا أملاه الحماس لعقيدة دينية أو قومية. وإنما هو عرض لجهد مخلص فى سبيل تحقيق تفاهم أفضل لمسألة قديمة. وكاتب هذه السطور يعتقد أن ألوان التحامل القديم قد تكون تضاءلت كثيرًا منذ فجر هذا القرن لكنها مازالت تعيش قوية، ومازالت فئة من الباحثين فى العربية والإسلام تعمل على نشرها فى الغرب على نطاق واسع. ثم إن الكاتب يخشى أن يعزز التحامل «القومى» مؤخرًا من شأن التحامل «الدينى». فهناك من الشواهد ما يدل على أن الرصيد المختزن من مشاعر العداوة للإسلام يمتد الآن إلى العرب أو على وجه أخص القومية العربية. ولا نريد أن ندخل فى تفاصيل لا طائل تحتها، ولكن هذا الشعور قد يتفاقم على طريقة العصور الوسطى إلى حد يلحق الوبال بالدراسات الشرقية والعلاقات الإنسانية جميعًا. ومن أجل الحرص الصادق على كليهما معًا كانت هذه المناقشة.

* * *

(١) راجع مثلا ما سيذكر بعد تحت رقم ٣.

(٢)

إن بعض المستشرقين الناطقين بالإنجليزية -ونحن لا نقصد منذ الآن بهذا الاصطلاح المرتبط بالجنس والسلالة مستشرقى بريطانيا وحدها، وإنما نقصد مستشرقى أمريكا الشمالية أيضًا- قد عرض لدراسة الإسلام خلال دراسات للكتاب المقدس أو اللاهوت، بل الواقع أن من هؤلاء من ينتظم فى هيئات دينية holyarders والبعض الآخر من هؤلاء المستشرقين وجد نفسه فى نطاق هذه الدراسة مصادفة. نتيجة للإقامة أو خدمة التبشير أو الخدمة العسكرية فى بلد إسلامى. ولكن هناك من اختار دراسة الإسلام قصدًا كوجهة له فى حياته العلمية- وربما كان هذا يصدق بصفة خاصة بالنسبة للجيل الأحدث نشوءا. وإذا كان لنا أن نصف فى كلمة ما لاقوه من دربة فى هذا المجال، فمن الصواب أن نقول إن معظمهم قد تلقى مرانا فى اللغة أو الأدب- بصرف النظر عن الأساس العقيدى فى بعض الحالات. ولكن قليلا منهم من درب على معالجة التاريخ. وربما خاض واحد أو اثنان أخيرًا نوعًا من مخاطر التجربة فى مجالات علم الاجتماع وعلم النفس.

وقد يكون هذا إحدى العقبات الخطيرة. فكثير من دراسات المستشرقين الناطقين بالإنجليزية قد تتميز بالتألق، ولكن حين يغوص المرء تحت المظاهر السطحية من الحواشى المتعالمة والمراجع المنسقة، يجد المرء نفسه مضطرا لأن يواجه نذير الخطر فى إلقاء القول على عواهنه والتخمين وإصدار الأحكام التى لا يشهد لها إلا القليل من الشواهد، أو لا يشهد لها شاهد قوى على الإطلاق أن المهارة فى ذلك رموز النصوص العربية (أو الفارسية أو التركية) شىء له اعتباره بالطبع، ولكن المقدرة على إقامة المادة المختارة فى بناء جامع، ومن ثم فى عمل تاريخى بالمعنى الفنى المقبول شىء آخر تمامًا. والتاريخ بوجه عام يتعرض لهجمات الغرباء أكثر من غيره، وغالبًا ما يتناقل الناس أن كل من أمكنه استعمال القلم يستطيع أن يكتب التاريخ. وفى مجال الدراسات الإسلامية تكون المادة اللغوية أو الأدبية أو التاريخية من التشابك لدرجة تلزم الباحثين أن يتوفروا على بذل الكثير من المحاولات. وفى خلال هذه المحاولات يجدون أنفسهم يكتبون التاريخ من حيث لا يدرون فى غالب الأمر. وهم لم يؤهلوا لهذا العمل إلا قليلا. ومن ثم يسهل علينا أن نعرف لماذا

عولج موضـوع «الإسلام» بأقلام قليل من المؤرخين المستشـرقين على صورة أفضل كثيراً من معالجته بأقلام غالبية المستشرقين من اللغويين.

ونحن نورد فيما يلى قليلاً من العثرات فى مؤلفات المستشرقين التى تشهد على نقص المسـتوى التـاريخى العلمى. ولكى يكون نطاق البـحث محـدوداً وميـسوراً سنقصر مـلاحظاتنا على الباحثين فى الدراسـات العربية، فليس ثمة مـجال لاتهام أحدهم بيـاعث من بواعث الجدل أو التـبشيـر. وجمـيعهم يؤخـذون باعتـبارهم متوفرين على النشاط الأكاديمى الذى يحمل فى ذاته التـبرير والجزاء. والمستشرقون يعـملون بالطبع خلال اضـطلاعهم بواجـباتهم المعـتـادة على تدريب دبلوماسـيين ومبشـرين ورجال أعمـال بجانب جهودهم فى العـمل على استدامة بقـاء نوعهم بتدريب من يخلفهم فى التدريس والبحـث، ومن هنا تكون أهمية ما يحملون من (أيديولوجية) بالنسـبة لما يخلفونه من آثار وما ينطبع منهم على غيـرهم. ومقصدنا بالضبط أن نعرض هنا لمناقشة الأيديولوجية كما تحملها كتب هؤلاء، لأجل أن نبرز المواضيع التى أغفل فيها التدقيق فى اتباع القوانين المسلم بها فى البحث العلمى.

وربما كان أبرز الأمور التى لا تراعى فيها قواعد (اللعبة) ذلك المفهوم الذى شغف به معظم المستشرقين عن دور محمد كرسول لله وطبيعة الرسالة التى أمر بإبلاغها كما حفظها القـرآن. ومحمد بالنسبـة لجماعة الإسلام هو آخـر رسل الله للبشرية، أرسل مصدقًا لرسالات الأنبياء السابقين ومكملا لها. والقرآن بالنسبة لهذه الجماعة هو كلام الله الأزلى غـير المخلوق، أوحى إلى مـحمـد منجمًـا على فتـرات عن طريق الملك جبريل. والدعوة إلى نشر هذه الرسالة هو كالرسالة نفسها من أمر الله ووحيه.

وأى كاتب- وإن لم يكن مـسلمًا مؤمنًا- يتـخلف عن مراعاة هذه الاعتـقادات وهو يكتب عن الإسـلام إنما يخـاطر بتـعريض نفـسـه للاتهـام بنقص فى النظرة الموضوعـية الشاملة وعـند معالجـة هذا الموضوع قد يكون الطريق الـسليم أن يقرر الكاتب وجهة نظر المسلم كاملة فى تمام ووضـوح لا يدعان مثاراً للشكوى أو سوء التـأويل. وإذا ما كـان للكاتب رأي مـغايـر أو إذا ما رغب فى الإشـارة إلى آراء مغايرة، فسوف يكون موقفه مقبولا تمامًا حين يبدى ما يريد منفصلا متميزاً بعد أن يقرر وجهة النظر المتعارف عليها بين المسلمين.

غير أن هذا النهج المنطقى والطبيعى فى العرض قلما يتبع من الأسف، وكثيرا ما يحدث العكس، فيتعرض القارئ نتيجة لذلك- ما لم يكن على علم- إلى شىء من الإيحاء برأى معين، أو يتعرض على الأقل إلى اختلاط فى الأمور يجعله عاجزًا عن التمييز بين الأصل المتوارث لدى جماعة المسلمين وبين رأى الكاتب. وهكذا نجد كثيرًا من المستشرقين الذين يحملون غيرهم أعباء معارفهم الخاصة يهملون ملاحظة مبادئ أولية للمنهج العلمى فى معالجة المسائل التاريخية. فهم يؤكدون مثلا أن القرآن من إنشاء محمد[1] ثم يذهبون مذهبًا بعيدًا فى تأسيس الأحكام التاريخية والعقيدية والأدبية وغيرها على هذا التأكيد وسرعان ما ترتفع هذه بمحض الشهرة إلى مرتبة الحقائق!.

وربما كان هذا أحد العوامل الكبرى -إن لم يكن أكبر العوامل فى خلق نزعة من التشكيك- إن لم يكن العداء- لدى العلماء والمسلمين المتعلمين إزاء جهود المستشرقين ويشترك فى هذا الشعور خريجو المعاهد الغربية بل وتلاميذ المستشرقين المعروفين أنفسهم!!

لقد ذهبت الأيام التى كان يكتب فيها المستشرقون غالب كتابتهم ليقرأها مستشرقون مثلهم! ونحن قد ننحى جانبًا الدراسات الفرعية المتخصصة Special-ized monagraphs لنجد معظم الإنتاج الحاضر يقرأه ويقدره أعداد ضخمة من الباحثين والمثقفين واسعى الأفق فى الغرب، ومن هؤلاء أعداد قد تكون أضخم فى العالم الإسلامى. والمسلمون الآن وقد تكررت الهجمات الجدلية والتبشيرية على عقيدتهم واستطال أمد السيطرة الغربية سياسية وثقافية على ديارهم، قد غدوا عرضة لمواجهة الأذى بصورة أشد من ذى قبل.

ولم تتوقف الآراء المنهجية المتجنية على أن تجد سبيلها إلى النشر على أية حال. ولابد أن أصحاب هذه الآراء على بينة من أنه مما يؤذى مشاعر المسلمين أن تطرح جانبًا عقيدتهم الأساسية فى أن الإسلام من عند الله، وأن يعرض بصورة أو بأخرى أن محمدًا قد اصطنع دعاوى كاذبة ليجعل من نفسه حامل رسالة إلهية،

---

(١) انظر على أية حال: H.A.R. Gibb, Mohammedanism, Oxford, الذى يقرر فى وضوح وجهة النظر المتعارفة لدى المسلمين قبل أن يعرض لتزيين القول بأن القرآن هو تعبير عن محمد صادر منه Mohammad's Utterances وهذا آربرى A. J. Arbary أبرز مستشرقى الإنجليز الأحياء يعتبر القرآن نتاجا فوق الطبيعة supernatural لكنه لا يشارك المسلمين الرأى أنه من مصدر إلهى. انظر: The Holy Koran 1953-32.

وأن القرآن نفسه ليس على هذا النحو سوى تأليف محتال! أفليس يكون أدعى للتفاهم الإنسانى وأولى بالبحث العلمى أن تترك أمور العقيدة على حدة، وأن توجه الجهود إلى مجالات أكثر ظهوراً وأيسر إدراكًا مثل الأدب والفن والعلم، وهى مجالات على الرغم من جهود المستشرقين مازال يعترضها الكثير من علامات الاستفهام؟ وليس من شك فى أنه من الممكن لمستشرق مسيحى (أو يهودى) يعتقد غير عقيدة المسلمين أن يضع مفهوم المسلم لدينه فى تعبير المسلم واصطلاحه[1]. وهو حين يفعل، لن يكون أكثر اقترابًا من المنهج العلمى فحسب، ولكنه سيجعل نفسه فى مركز أفضل كى يفهم مكان دعوة الإسلام بين أحداث التاريخ.

إن المسلم المؤمن والمستشرق المتشكك هما أيضا قطبان متنافران بالنسبة لأصول الإسلام. وهنا أيضا تنزع آراء الغالبية من المستشرقين الناطقين بالإنجليزية وغيرهم إلى خلق شعور الاستياء بين المسلمين، وبالتالى وضع عقبات خطيرة فى طريق الحركة الفكرية بين الجانبين. فالمستشرق وقد طرح احتجاج المسلم لعقيدته فى الأصل الإلهى للإسلام وقرر أن محمدًا كإنسان ودون أية وساطة إلهية هو المسؤول عن إنشاء القرآن قد غدا جد مشغول باستكشاف «الأصول» لليهودية المسيحية دون التوصل إلى نتائج حاسمة أخيرة، اللهم إلا الإشارة لمقابلات واضحة جلية، ثم إزجاء الحديث فى معرض هذه المقابلات، وهو حديث يتخذ سمة التعالم أو التجادل حول الواضح الجلى!!

إننا نستعمل كلمة «التجادل» قصدًا للتعبير عن هذا النوع من الحديث Speculative وذلك للسبب التالى: فلننس لحظة ما يؤمن به المسلمون، ولنعط المسألة اعتبارها كمسألة تاريخية صرفة[2]. ولنفترض جدلا أن القرآن من

---

(١) مثل هذا العرض أورده دانيال Islam and the West N. Daniel the Making of an Image (Edinburgh, 1960), 305.

(٢) أبدى قسيس إنجليزى وعالم مبرز أيضا هو: بيرنز E.W. Barnes فى كتابه: The Rise of Christianity, London 1938 كيف كانت أصول المسيحية - واليهودية من قبلها- عميقة الجذور فى تراث الشرق الأدنى من أساطير وخرافات ووقائع، والمؤرخ الذى ينظر إلى الكتاب المقدس وإلى القرآن كوثائق إنسانية قد يطالب المستشرق الذى يجادل عن دعوى الأصول اليهودية المسيحية للإسلام بأن يدقق فى الملاحظة والتأمل ثم يبدى ما يتضح له من انعكاسات!.

إنشاء محمد، كيف يتسنى لدارس التاريخ أن يثبت اقتباس محمد من المصادر السابقة عليه؟ إذا كانت المسألة بالتخمين فليس ثمة كسب وراء ضياع الوقت فى اختبار التفاصيل، أما إذا كان الأمر خاضعًا لمنهج تاريخى صارم عنيف، فإن أى شاهد يقدم جدير بالملاحظة الدقيقة، وعلى أية حال فإن أى شاهد قائم أو مستعمل لتعزيز دعوى الأصل اليهودى المسيحى لا يثبت للمراجعة والنقاش.

ولا يمكن قبول المقابلات وحدها فى موضع يحتاج إلى شواهد حاسمة ذات نتائج قاطعة. وهيهات أن تكفى التتف المقتطعة والإشارات والاستدلالات المتعسفة والتخمينات الذكية فى هذا المقام، فضلا عن أى مقام! ونحن نحتاج لخيال قوى جداً لمتابعة القول بأن محمدًا - الذى قررت الأصول الدينية أنه لم يكن يقرأ أو يكتب كان على التخطيط الذى أنشأه المستشرقون له- قد جلس عاكفًا فى مكتبته يبحث كتب الأولين لينقل عنها[1] لأجل تأليف الكتاب المعروف بالقرآن! قد يحمل هذا التعبير بعض المبالغة بغير شك، ولكنه يجمل ما تذهب فيه هذه الدعوى إلى التفصيل!![2].

---

(١) انظر مثلا:

A. Guillaume, the Life of Mohammed, Oxford 1956, 86 a quatation from the Gospel, 655, "an allusion to Matt, XXL, 33 f. Montgomery Watt, Islam and integration of Society, London 1961, 262. quatations from the bible begin ta appear in muslim works".

وكل هذه الاقتباسات قد حدثت حين لم يكن هناك ترجمة عربية للكتاب المقدس يقتبس عنها!

(٢) انظر مثلا:

Rosinthal, the influence of Biblical Tradition on muslim historiography, in B. Lewis, P. M. Holt (eds) Historians of the Middle East, Oxford 1962.

وبينما يتابع روزنتال القول بأن القرآن من إنشاء محمد، وأنه استمد الأجزاء التاريخية على الأقل من مصدر يهودى مسيحى متأخر نراه أكثر دقة من الباحثين الذاهبين هذا المذهب. فهو يبدى احساسًا تاريخياً حين يستخدم كلمة (متأخر) Altimate كما يبدى حيادا عقليا بالتحذير من إلقاء القول على عواهنه speculation والآراء المسبقة preconceived ولكنه ينزلق مستسلمًا لتأثير الإيحاء نفسه فيتقبل فروضًا لا يقوم عليا دليل (انظر Gerpessins pp. 45-6). وربما كان ناشرو هذه المجموعة القيمة من المقالات أكثر دقة فى هذا الصدد، فقد قرروا فى مقدمتهم (pp. 2, 11) أن الشرق الأوسط (شهد مولد ثلاث ديانات كبرى للبشرية اليهودية وخليفتيها المسيحية والإسلام) وسوف تأتى فيما بعد تحت رقم (٣) مناقشة لهذه النقطة فيما أبدى من الملاحظات.

إن المقابلات والمشابهات خداعة للغاية!! إنها لا تكون بالضرورة دليلا علميا على نسبة كتابين متشابهين، إذ يعوزهما التدليل على الاقتباس الواعى من اللاحق للسابق، وقد يجوز أن يكون كلاهما ناقلا عن مصدر ثالث مشترك.

والحق أن الباحث الذى نظر إلى الكتاب المقدس والقرآن على أنهما وثائق إنسانية، قد ينزع بمنطق سليم إلى تتبع بعض ما جاء فيهما من آثار التراث الفعلى المبكر للشرق الأدنى، وعلى أية حال يحتاج إثبات الاقتباس السامى الفعلى بالضرورة إلى شواهد أكثر إقناعا مما جرى عرضه حتى الآن.

إن فيكو Vico هو الذى قال: إن الأفكار تنتشر عن طريق استكشاف كل أمة - أو ثقافة- مستقلة عن غيرها لاحتياجاتها فى أية مرحلة من مراحل تطورها[١]، ولقد قال أحد المستشرقين البارزين نفس القول مع تعزيز بتوضيح إذ يؤكد أن الثقافة المستعيرة -فى حالتنا التى نعالجها الآن النظام الدينى- لابد أن تحس هى نفسها حاجتها خلال تطورها الداخلى إلى غذاء من الخارج وكل ما تستعيره فى هذا السبيل لن تنتفع منه إلا إذا استند إلى هذه العناصر من الثقافة القومية -أو من الدين التى تطلبت الاستعارة والثقافة الحية أو الدين -ترفض تلقائيا كل العناصر الداخلية التى تتعارض مع قيمتها الأساسية[٢].

وكاتب هذه السطور لا يرى فيما أريق من مداد سود صحائف المجلدات المتعددة عن «أصول» origins الإسلام دليلا مقنعا بالمعنى التاريخى، بحيث يثبت أن مثل هذا الاقتباس قد حدث فعلا. بل على العكس نرى الشاهد المعاصر الوحيد الذى مازال باقيا هو من آيات القرآن نفسه، وهذا يستبعد مثل هذا الاحتمال بأقطع عبارة، ومن المستغرب أن هذا الشاهد يطرح جانبا فى الغالب ومن هنا تأتى ملاحظة باحث حاذق له جهوده المشكورة فى الدراسات الإسلامية حيث يقول: «إن الإسلام يمزج دائما بين المقدرة على تمثيل العناصر الأجنبية والعزوف عن الإقرار بالأصول التى استمدت منها»[٣].

---

(١) نقلاً عن R. G. Collingwood, The Idea of History, Oxford 1951, 69, 71.

(٢) H. A. R. Gibb, A "The inbluence of Islamic Culture on Medieval Europe" in the Bulletin of the John Rylands Library Manchester, XXXVIII, 1955-6, 85: 7.

(٣) B.E. von Brunebaum islam: Essays in the nature and growth of a Cultural Tradition, London 1961, 228.

وهذا ملاحظة تستحق البحث ولو بصورة عابرة، مادامت قد أوردت بصورة عابرة! فإذا كان المقصود بكلمة الإسلام هو مدنية الإسلام أو حضارته أو ثقافته، فإن مسألة تمثل العناصر الأجنبية أو مصادر هذه العناصر لم تكن قط محل إنكار[١]. أما إذا كان المقصود هو العقيدة والدين، فإن كاتب هذه الكلمات لا يكاد يحتاج إلى من يذكره أن الإسلام إذا ابتغى أن ينفض عنه ما كان مثارا لنعيه عليه، فإنه لن يكون بعد هو الإسلام فى خصائصه المعروفة، ولسوف يتخلى عن التعاليم الصريحة فى كتابه المقدس. والإسلام كعقيدة كل لا يقبل التجزئة، إما أن يؤخذ كله وإما أن يترك كله.

هناك مثال لكثير من الآراء الخطيرة التى يكاد يخفيها ما يساق من عبارات تبدو مقتبسة، ولكنها تفقد رونقها بإمعان النظر عن قرب وحتى المستشرقين الذين توصلوا مع أنفسهم إلى التوافق على قبول صدق محمد والاعتراف بأنه دعا إلى دين جديد متميز تميزا أساسيا. . يعودون ليؤكدوا فى الوقت نفسه أن رسالة محمد لم تكن كلها من مصدر إلهى! وهذا نص آخر لباحث آخر له أبحاث قيمة عن حياة محمد، إنه يقول: «إن على الإسلام أن يقر بحقيقة أصله -ذلك التأثير التاريخى للتراث الدينى اليهودى المسيحى»[٢]. وهنا تؤخذ مسألة «الأصول» كحقيقة مقررة ويشارك إليها على هذا النحو دون تمحيص أو مناقشة[٣]، وإذا ما استعرنا أسلوب النص ربما قلنا: إن على الكاتب أن يقر بأنه لم يصب على أى وجه من الوجهين: عندما اعتبر محمدا نبيا صادقا ثم عزا إليه التلاعب، ما دام وهو الذى يفترض أنه مؤلف القرآن لم يعترف بما اكتسبه من أفكار الآخرين!

---

(١) ومن هنا يجب مناقشة مدى سلامة ملاحظة أخرى لفون جرونيبارم انظر: "Prob-lems of Muslim nationalism" in R. N. Frye (ed) Islam and the west. The Hague 1957, 29.

(. . . إن الضغط المحافظ يضطر إلى إخفاء الاستعارة بقدر الإمكان وراء حجاب من الأساطير "orttogentic legend" انظر مناقشات أخرى لهذا الموضوع تحت رقم ٥ فيما بعد.

(٢) W. M. Matt, Islam and the Integration of Society London 1961, 293.

(٣) انظر مثلاً: B. Lewis, The Arabs in History London 1960. وهو فى هذا الكتاب الموجز غير الموثق يستعمل لغة أكثر حذراً حين يقول ص ٣٩ (. . . وعلى وجه الاحتمال من التجار والرحالة اليهود والنصارى الذين تأثرت معارفهم بمؤثرات مدار شبه أو مشكوك فى صحتها).

إن هذا الازدواج يرجع للتناقض مع النفس، وهو غير مقنع فى أى من وجهتى النظر فى المسألة، لأنه لا يؤيد إحدى الوجهتين كاملة ولا ينقض الأخرى تماما والمسلم المؤمن سيظل على موقفه، كما سيبقى هذا المجادل على موقفه، أما الكاتب الذى درب على معالجة التاريخ فهو لا يحاول أن يركب جوادين فى وقت واحد، وقد تكون هذه المحاولة للتوفيق جديدة بالتقدير، ولكن نتيجة المحاولة المخيبة لآمال كل من المؤيد للعقيدة والمعارض لها على السواء، كما أنها لا تلقى ترحيبا من المؤرخ المحايد الذى يفتقد الأدوات اللازمة للتحليل، والحق أنه على الرغم من التقدم فى كتابة التاريخ العلمى، فإن هؤلاء «الازدواجيين dualists» فى الدراسات الإسلامية قد أسهموا بجهود قد تكون متميزة فى ذاتها، ولكنها تدل على إدراك أقل مما كان لدى المتطرفين السابقين من مؤمنين ومجادلين، والذى يحاول اللاحقون جاهدين عن وعى أو غير وعى أن يشغلوا أماكنهم ويحلوا محلهم.

(٣)

من الواضح أن الفارق بين معنى الإسلام لدى معتنقيه وصورته التى يرسمها له المستشرقون تمس أسس العقيدة الإسلامية ذاتها. وعلى الرغم من أن التقدم نحو البحث الأكاديمى ليس محل جدل، فإن من الواضح فى هذا الصدد أن صورة العصور الوسطى للإسلام قد ظلت فى جوهرها دون تغيير، وإنما نضت عنها الثياب القديمة لأجل أن تضع ثياب أقرب إلى العصر. وتتعدد علائم الإصرار على الأفكار العتيقة سواء فيما يتعلق بالقرآن ومحمد، أو ما تعلق منطقياً بالعقيدة والشريعة والتاريخ فى الإسلام. وليس الإطناب أكثر من ذلك فى هذا الأمر بمرغوب أو مفيد. وإنما نعمد إلى تقدير الموضوع من زاوية أخرى.

لقد كان من نتائج التوغل الغربى فى ديار الإسلام. أن تعرض عقل الشباب لمجادلات مضللة عن طريق التعليم المدنى أو الجهود التبشرية إلى حد كبير، وهى مجادلات سبق أن صيغت لتوافق من تقوضت العقيدة المسيحية فى صدورهم تمامًا فى أوربا الغربية. ولكن على العكس من أسلوب الجدل الوسيط، كان للمنهج الجديد هدف إيجابى، وخاصة بالنسبة للمبشر، هو التحويل للمسيحية. وهذه الطريقة فى

أبسط صورها هى طريقة «مقارنة الديانات» Comparative Religion التى تحاول أن تقارب المسيحية بالإسلام، لغير صالح الأخير فى الغالب الأعم!! ومازال هذا الأسلوب قائمًا فى أيامنا، وإن كان لا يصرح الآن بمقاصده الإنجيلية الصريحة.

وهنا يكون الأمر أيضًا أكثر دلالة إذا قدمنا أمثلة صريحة، ولكن يمكن أن نقرر أولاً بضع مبادئ عامة. لقد كان منشأ دراسات مقارنات الأديان فى الغرب يرتبط بالجدل، ولقد سبق أن قورنت اليهودية بالمسيحية، وبدلاً من أن تؤدى المقارنة إلى تنمية الفهم الصحيح، فإنها قد ولدت مزيدًا من العداء. وهكذا كانت النتيجة بالنسبة لمقارنة اليهودية والمسيحية بالإسلام عن طريق اليهودية، والمسيحيين الذين اعتنقوا القول بأن الإسلام هو ثمرة لإحد الديانتين السماويتين السابقتين عليه أو ثمرة لهما معًا. وبينما نجد هناك علاقات اتصال عضوى organic relationship مسلم بين اليهودية والمسيحية، فإنه ليس من المسلم به أو المدعم بالبرهان العلمى وجود أى علاقة اتصال بين أيهما وبين الإسلام. وإنما نجم العداء اليهودى أو المسيحى للإسلام من صراع سياسى وعقائدى على مدار التاريخ! وأنه لتعليق مؤسف بالنسبة للحكمة الجامعة لدى هؤلاء العلماء من أتباع هذه الديانات، أن يذكر أنهم لم ينجحوا قط فى إزالة أسباب العداء والخصام المتبادلين، ولابد أن يتقبل المستشرقون نصيبًا من المسؤولية عن استدامة هذه الحال المحزنة للأمور.

ولذلك فإنه ما لم تحدد أهداف مقارنة الأديان فى المجال الإسلامى بوضوح وما لم تقبل قواعد معين لمنهج المقارنة من العاملين فيها. فإن هناك مخاطرة بأن تتمخض المقارنة عن مجادلة جوفاء! وقد يدعى هنا أن الراغبين فى القيام بهذه الأبحاث لا يضمون جوانحهم على مقاصد جدلية أو تبشيرية، وأن اهتمامهم الرئيسى هو اهتمام أكاديمى، وإذا كان ذلك كذلك، فإنهم لابد أن يتبينوا أن المقارنة تتطلب التسامح والتجاوب والتقدير ممن يضطلع بها، إذ يكون الهدف الرئيسى هو تعميق إدراك المرء لثقافته القومية -أو تراثه وتقاليده tradition وللثقافة الأخرى -أو التراث والتقاليد التى تجرى المقارنة معها. ومثل هذا الفهم من شأنه أن يربى اتجاهًا نقديًا لا بالنسبة لثقافة الغير -أو تراثه وتقاليده، بل بالنسبة لثقافة الباحث نفسها- أو تراثه وتقاليده.

وعلى ذلك فإن أى مسألة تدرس دراسة مقارنة لابد أن تقرر بالتعبير المقبول لدى هؤلاء الذين استمدت هذه المسألة من تراثهم وتقاليدهم -وديانتهم بالنسبة لموضوعنا. ولابد أن يوصل بين سائر الظروف المحيطة بها، ويحكم عليها طبقًا للقيم السائدة فى النظام القومى الذى تنتمى إليه. وإذا ما نالت هذه المبادئ الأولية القبول فإن أى كاتب يستشعر عداوة أو نفورًا، أو مجرد الإعراض عن تراث غريب عليه يجب أن يعترض صفرًا، وعليه أن يعتبر نفسه فى أمانة غير صالح عقليًا وعاطفيًا لمحاولة المقارنة التى لن تثمر نفعًا ملموسًا للبحث العلمى فى هذه الحالة.

وبينما لا نجد أحدًا لحسن الحظ من المستشرقين الناطقين بالإنجليزية المعاصرين يبدى مثل هذه الضغينة، وهذا الحقد بصورة معيبة -مثل ما تجد فى مؤلف لامنس Lammens المعروف إلا أنه قد ندت ممن حاول المقارنة منهم هنا أو هناك تحاملات دينية أو عقائدية، من شأنها أن تنتقص من قيمة جهودهم وتهز الثقة فى أبحاثهم.

إن النظرة الأولى للإسلام تكشف عن مواضع شبه بينه وبين المسيحية، ولكن النظرة الفاحصة عن قرب تبرز خلافات أساسية. وهذه الحقيقة كانت غالبًا ما تثير المبشرين فى الماضى، ومازالت تستميل قليلاً فى المجال الأكاديمى إلى التحايل على تصيد مثل هذه الشوارد «كأصول للإسلام»! وينزع المبشر والباحث الأكاديمى إلى أن يتناسى، وهو ينال من قدرة محمد بطريق مباشر أو غير مباشر، كيف يقدس المسلمو الأتقياء المسيح!

وفى كتاب قريب من سلسلة بنجوين Penguin عمل مستشرق قسيس إنجليكانى على عقد عدة مقارنات، ليظهر أن الإسلام كان فى صدق صورة غير محكمة أو مشوهة للمسيحية[1] وعلى كل حال فقد قدم المؤلف الحجة لتبرير التساؤل عن كفايته كقاض غير متحيز، وليس فقط بما أبداه من آراء غير مقنعة ولكن أيضًا بما أقر به من مشاعر إزاء الرسالة المودعة فى ثنايا القرآن: إنه يقر فى أحد مواضع الكتابة أن للقرآن بالنسبة إليه ومن على شاكلته فى التفكير -فهو ضمير (نا) الدالة على (الفاعلين)- مضمونًا رجعيًا يدعو للتأخر Repllent Content[2]. والكاتب

(١) A.Guillaume, Islam, 1654, 162- 6 et passim

(٢) Ibid, 74.

يتكلم فى موضوع آخر عما يثير (نفورنا) من بعض الصور فى الإسلام، دون تحديد[١]! وفى هذا ما يكفى لإقناعه كى يبتعد عن الموضوع. ولكنه يتراجع عن محاولة ترجمة السيرة إلى الإنجليزية، واتخاذها مادة تستعمل فى التعليق وغيره، كى يعطى تحامله النغمة الملائمة. ومادام قد نشر من قبل نقد منفصل لترجمته[٢] فليس من حاجة أن يقال المزيد فى هذا الصدد.

وهناك دارس آخر للإسلام هو أيضًا من رجال الكهنوت يستحق الذكر هنا بوجه خاص بسبب تقديمه لمزيد من الجدل السطحى speatulation الذى يعرض للتشابه بين المسيحية والإسلام. وهو يكتب: «إن من أسباب تباعد المسلمين والمسيحيين عن بعضهم البعض أن كلا الفريقين قد أساء فهم عقيدة الآخر بمحاولته أن يضعها خلال طراز الاعتقاد الذى يؤمن به»[٣]!

وشأن كثير من التعميمات لا يبدو مثل هذا النص منصفًا كما يحاول أن يكون فإن المسيحيين وحدهم هم الذين ظلوا طوال القرون يحاولون فهم الإسلام - أو إساءة فهمه من خلال اصطلاحات المسيحية. أما النظرة الأساسية للمسلم فقد ظلت على حالها لم تتغير على الدوام لأنها جزء من الوحى الإلهى فى القرآن[٤].

---

(١) The Listoner, London, Ostaber 16, 1952, 635 a.

(٢) A. L Tifamy. the Life of Mohammed A critique of Guill aumés English Translation islamic Quarterly III, No. 3, pp 196- 214.

(٣) .W. C. Smith Islam in Medern History, Prinaton 1957, 17.

(٤) هذه فرصة مناسبة لتقديم عرض سميث W. C. Smith الشاعر لكتاب City (A frday in Jerusalem) of Wrong

The Muslim World فى عددها Li, april 1961, 134-7

والكتاب ترجمة لرواية كامل حسين الفلسفية العربية (قرية ظالمة). وقد بالغ عارض الترجمة أكثر من المترجم فى أهداف الرواية حتى اعتبرها (حركة كبرى) من مسلم له مكانته نحو رأى المسيحية فى الجمعة الحزينة ولقد كان جب H. A. R. Gibb أكثر اتزانًا حين لاحظ أن الإلهيات كانت بعيدة عن مقاصد الرواية إذ إنها تقف إلى جانب الآراء الإسلامية الأساسية كلها، ثم هى تستبعد أية إشارة إلى الرمزية المسيحية المتعلقة بالقصة. انظر: Religion in Life XXIX 1959-69 158-9 وعلى هذا النهج من الحكمة نجد عرض البرت حورانى Albert Houreni الذى يتبين أن الرواية تعطى (الجواب الإسلامى السلفى Orthdox) على سؤالين أساسيين: هل المسيح ابن الله؟ وهل صلب حقًا انظر Frontier II sum-mer 1961, 19 وقد ذهبت هذا المذهب فى عرض للترجمة ومقدمة المترجم، انظر: Die Welt des Islam, VI, Ms. 3-4 (961) 280-1.

ولم يحاول مسلم مؤمن أن يدخل المسيحية فى إطار آخر. والمسيحى لا يواجه فى كتبه المقدسة قيوداً صريحة تحجز عن تقبل وجهة نظر المسلم عن الإسلام، ومع ذلك فهو يرفض لا رأى المسلم فى المسيحية فحسب. بل رأيه فى الإسلام أيضًا، وهو يسمى جاهدًا لتغيير الرأيين!

وصاحب العبارة المشار إليها فى الفقرة السابقة هو رجل خبير فى أبحاث الإلهيات، وقد بدأ وجهته هذه مدرسًا فى معهد تبشيرى فى لاهور. وهو يجعل من كلماته اعتذاراً لمحاولته لإدراك أحد الأهداف المسيحية. وهو فى هذا السبيل يناقش خطأ شائعًا كما يقول بين المسيحيين والمسلمين، وهو افتراض «أن دور المسيح فى المسيحية ودور محمد فى الإسلام مما يمكن المقارنة بينهما. وهذا التقرير مضلل أيضًا: إذ إن مثل هذه المقارنة إنما تصح فى جانب المسلمين الذين يؤمنون بالمسيح رسولاً من رسل الله للبشرية! أما بالنسبة لجانب المسيحيين عامة والمستشرقين خاصة، فإنهم لا يعترفون بمحمد رسولاً، أو يرونه قد وقع فى لبس فظن نفسه رسولاً -كما بدا من العرض السابق. وفى مثل هذه الظروف، فى أى جانب تصح المقارنة؟ والصفحات السابقة تبرز إلى أى مدى تعقدت من قبل دراسة الإسلام وحياة محمد، بما أدخله المستشرقون من مسائل جدلية لا سبيل لحلها. وإذا ما استنقذنا أنفسنا من هذه الورطة، فإن الفروض المقارنة المعروضة إذا ما أخذت مأخذ الجد فإنها توقعنا فى شرك جديد!

إن هذه الفروض تذهب فى إيجاز إلى أن دور محمد فى الإسلام، ودور القديس بولس فى المسيحية «أكثر قابلية للمقارنة» وأن القرآن يمكن مقارنته بشيخ المسيح، فى حين يقارن حديث النبى بالكتاب المقدس! وقد توالى عرض المزيد من المقابلات[1]، ولا يعنينا هنا الصورة التى يمكن أن تستقبل بها مثل هذه (الهرطقات) فى الدائرة المسيحية اللاهوتية، وإنما يهمنا الغرض الذى أعلنه الكاتب فى عباراته وهو «الاتصال» Communication أو «التواصل» intercomnunrcation بين المستنيرين من المسلمين والمسيحيين. ترى هل تكون هذه المماثلات Onalogies

(١) The World of Islam, Studies in Honour of Philip K. Hithi London 1960 47: 59

مؤدية إلى الهدف؟ أن الأمناء الصادقين غالبًا مـا ينسون كأفراد ما تتضمنه أفكارهم حين يواجهون عقائد الآخرين ومـشاعرهم وتحاملهم. ومن الصعب فى حالتنا هذه أن نتصور أن مؤلف هذه المماثلات يتوقع لها أن تجـد ترحيبًا لدى علماء المسلمين، ولنستبعد سوء الفهم بالنسبة لمقصد هذه الكلمات. إن المماثلات ليست وحدها مثار التسـاؤل بالدرجة الأولى، وإنما يثيـر التساؤل قبل كل شـىء هذه الرواية المصطنعة التى يعرض تحتها هذا كله، هذه الدعوى العريضة عما لهذا المسلك من معان جليلة وآثار تنوير المسلمين!

والحقائق الثابتة عن رد الفعـل بين المسلمين لا يبدو أنها تعنى الكاتب أو تدعوه إلى الروية! وهو نفـسه يقر بأنه عـرض إحدى مماثلاته على مسـلم متحـرر يحمل درجة الدكـتوراه فى الفلسفة من جـامعة لندن، فصـدم بها كثيـرًا، ولم يتردد فى رفضها. ولكن هذا لم يقنع المؤلف، ولسنا فى حاجة للذهاب إلى الأزهر لنكتشف معـارضة أقـوى. إن الكاتب نفـسه قـد رجع إلى ثلاثة ممن يسمـون «بالمغتـربين» Mestermized من المسلمين كل على انفراد، وكانت الإجـابة واحدة على اختلاف فى درجة التـعبير بـين الحدة والرقة، فقـد وصف هذه المحاولات بأنها «سطحـية» و«تافهـة» و«كفر صراح»!.. ترى مع من يكون إذن «الاتصـال» و«التواصل» وإلى من يكون «التنوير»؟!

إن الجدل الـسطحى الصفـيق، وانتزاع المقـابلات واصطناع المماثلات قـد يكون جذابًا لأستاذ مقارنة الأديان. يرى واجبًا علـيه أن يحاول واعيًا كى يجد بصورة ما موضوعات للمقارنة، كما قد تكون هذه العمليات المتوهمة مما يعنى المبشر الذى قد يسـتخـدم هذه المماثلات لاستئـناس المقاومـة وفـتح الطريق. وربما كـانت هذه المحاولات نافعـة أيضًا لمدرس غير مسـلم فى جامعة عربيـة كطرائف تعطى لعمله شيئًا من الحياة! ولكن صدوره عن عقل مسيحى متخصص فى الإلهيات وغارق فى الاصطلاحـات المسيـحيـة، يجـعله على الأقل بغيـر ثمـرة لمن هم على علم من المسلمين[1] فإن الأمر فى حقيقته حـوار اجتماعى لأجل أن يكون مثمرًا، فلابد أن يتناول موضوعات تكون مقبولة ومثيرة لاهتمام كل من الجانبين.

---

(١) انظر مـثلاً للدكـتـور محـمد البـهى (الفكر الإسـلامى الحديث وصـلته بالاسـتعـمـار الغربى) القـاهرة ١٣٧٦هـ/١٩٥٧ م ص ١٨١.

وهذا مبشر قديم يحاضر فى الشريعة الإسلامية بجامعة لندن يعمل على تضمين مقالة واحدة كل اعتراضات العصور الوسطى على محمد وعلى الإسلام، على نهج أقل من نهج زميله الذى أشرنا إليه الآن تبصرًا ودهاء، ولا يبدى احترامًا يذكر لذكاء القارئ! ومن المدهش أن يعلن المؤلف فى مقدمته أنه يقدم معلومات صحيحة لمعالجة الدراسة «موضوعيًا» حتى يكون «منصفًا» «مدققًا»، ويتوقى «المقارنة عن طريق المقابلة مع المسيحية» Adverse Comparison with Chrstianity[1] ولكن بعد هذه الإعلانات كله عن الموضوعية يكتب الكاتب أنه «لا يمكن أن يكون هناك شك على أية صورة» أن محمدًا قد تمثل أفكارًا من التلمود وبعض المصادر المحرفة، أما بالنسبة للمسيحية فإن هناك احتمالاً طاغيًا بأن محمدًا قد استمد إيحاءه منها!

وقد يثير انتقاء الكلمات وحده الشك فى أمر كفاءة الكاتب، كى يكون قاضيًا، ولكن معالجته الفعلية للموضوع فى مجمله يكشف عن هذا بصورة أوضح. ولقد تعرض شخص محمد لكثير من الافتراء، ولكن يظل الافتراء الرئيسى هو ما يمس جوهر رسالته وتقديمه للقرآن ككلام الله، فى حين أنه ليس كذلك، وهكذا نهج الكاتب بالنسبة لمحمد وبالنسبة للإسلام. وعلى هذا النحو يكون الحج إلى مكة -إحدى دعائم الإسلام الخمس- مفتقدًا للباعث المعنوى Moral uplift، ويكون دين الإسلام كله على أحسن الأحوال «باردًا شكليًا»! والمؤلف يقول كسابقه: إن مستويات الإسلام الأخلاقية جعلته ينفر!

ويتضح تمامًا ما إذا كان هذا المنهج يرقى إلى الموضوعية التى وعدنا بها الكاتب أم لا. إنه ينسى ماضيه كمبشر قديم، ويكتب من هذه الزاوية. وهكذا يصدر الحكم فى شأن (نقائص) الإسلام من زوايا مسيحية أوربية عصرية! ويكون الهدف إنجيليا خالصًا! وبالنسبة للتطورات المحتملة داخل الإسلام فى العالم المعاصر يناقش الكاتب فرص الشيوعية، ولكنه يؤمل كما يظهر فى (تحول على قياس لم يسبق له مثيل إلى المسيحية التى لم تعرض بعد بالصورة المناسبة للعالم الإسلامى)! وهو إذ

---

(١) J.N. Anderson (ed.) the Worlds' Religions, London 1950 P. P. 52-98 وليس للناشر سوى مقال عن الإسلام كما له مقدمة وخاتمة. و النصوص المذكورة سابقًا فى صحفات.
58-59-60-82 (n, 1), 92, 93, 97-8.

يخوض بعض المناقشات المعروفة عند المبشرين يجد من العقبات التى تعترض الطريق نحو (تحويل المسلمين إلى الإنجيل euangelization To Islam حكم الردة، وافتقاد النصوص التى تعين على تحويل المسلم عن دينه فى القوانين العصرية التى صدرت مؤخراً[1]! وهو يختتم مقاله فى أسلوب شعرى (أن للعالم أن يرى ماذا سوف يحدث حين يعرض إنجيل المسيح الحى بالصورة الملائمة للايين المسلمين)!.

وليس ثمة حاجة لفحص مؤلفات الكاتب التى تتعلق بمهنته؛ فهى معلومة موصوفة فى مجال العمل القانونى المعاصر فى عدد من الأقطار الإسلامية. فإلى جانب الحكم الأخلاقى المتكرر طبقًا للنظرة المسيحية، فإن هناك فكرة رئيسية قد عرضت فى السطور السابقة. والشريعة الإسلامية ليست نصوصًا جامدة، وقد تعرضت خلال التطبيق لمحاولات التجديد والتنقيح، وبصورة قوية فى الزمن القريب. ولكن الكاتب لا يعنى كثيرًا كما يتضح من كتابته بتفهم تاريخ الشريعة الإسلامية! إن الأصول الرئيسية للشريعة هى القرآن والسنة، فللشريعة طابعها الإلهى، ولكنها تستمد من مصادر أخرى بجانب هذين المصدرين خلال تجارب الإنسان فى الحكم، فهناك مجال للصنعة البشرية أيضًا. ومن هنا يكون القانون معرضًا للمراجعة والتنقيح من الإسلام إلى أيامنا هذه[2].

ولنضع موضع التقدير - على سبيل المقابلة - مسلك باحث له جهده المتميز فى دراسة الشريعة الإسلامية، أنه يدفع النتائج إلى ثنايا بحثه فى تحامل تمليه عداوة متأصلة كامنة![3] وعلى الرغم من أن بعض أهل العلم من المسلمين يجدون تحليله متشككا، وقد يناقشون مؤلفه تفصيلاً، إلا أن دراسته الرئيسية على الرغم من ظاهرها ليست مما يصطدم تمامًا مع أصول الإسلام، فسواء أكانت الشريعة الإسلامية طبقًا لنظرة الدين مستمدة بالدرجة الأولى من القرآن والسنة، أم كانت ثمرة تمحيص فقهاء القانون القائم المألوف existing customary law وأصحاب - الخبرة الإدارية كما يقرر البحث المشار إليه، فإن النتيجة فى الحالتين واحدة. وبالنسبة للجماعة الإسلامية فى عهدها المبكر كان هذا النتاج نظامًا قانونياً، يتفق مع القرآن

(١) انظر مثلاً J.N.D. Anderson. Islamic Laws in the Modern Word, New York, 1959 98.

(٢) انظر مثلاً الملاحظات التمهيدية فيما بعد تحت رقم ٤.

(٣) I. Schacht; The Origins of Mohammaden Jurisprudence Oxford, 1950.

والسنة والتجارب المعتمدة. ويلزم مثل هذا الحياد العلمى فى دراسة التجربة القانونية المعاصرة، فلا يختلط باعتساف الأحكام الخلقية أو الدعاية، والتشريع الحديث فى صورته المنسقة التى انتهى إليها، ينبغى أن يوزن بموازين الإسلام، وطبقًا لهذه الموازين لابد للتشريع الحديث كى يكون ناجحًا أن يكون مزاجه التركيبى الخاص synthesis كما كان للتشريع فى عصوره الأولى، ولن يعنى هنا تشكيل آلى جديد لنصوص التراث القديم، ولا تركيب مدنى يستتر وراء واجهة إسلامية، إن ما يلزم فى هذا الصدد هو (تقويم للحياة الاجتماعية العصرية، والفكر القانونى المعاصر من زاوية إسلامية)[1].

* * *

(٤)

عندما استغرق الجدليون الأول فى الإساءة إلى الإسلام والتضليل فى فهمه، كان غرضهم تخريبياً هدامًا، وبدخول الأهداف التبشيرية أصبحت هناك حاجة إلى شىء من (الموضوعية)؛ وأصبح منهج العمل مزيجًا من تشويه الإسلام وإظهار معايبه، ولكن على أساس من وقائع أكثر ثباتًا، لأجل المقارنة مع المسيحية، وقد هجرت الآن الطريقة الأولى عمليّاً، أما الثانية فقد هون منها شيئًا ما، أو ألبست زيّاً جديدًا، ومن صورها المعتدلة القول بأنه لابد للإسلام من (إصلاح) reform ولا نستطيع أن نتبين أول من نادى بهذا الاقتراح أو استعمل هذا التعبير فى دلالته الغربية، ولكن من الواضح جليّاً أن كثيرًا من الهراء قد سطر حول هذا الموضوع حتى غدا من الضرورى استجلاء معانيه.

إن المستشرقين - وبخاصة البروتستنتيين منهم - لم يستطيعوا أن يحرروا أنفسهم مما يمكن تسميته بحتمية (الإصلاح) فى دين من الأديان! ولعله لا يكون مجرد مصادفة أن الباحثين اليهود (والروم الكاثوليك) قلما ينشطون للمشاركة فى هذا الموضوع، الذى يكاد يكون حكرًا للباحثين البروتستنتيين، وعلى الرغم من أن المطابع قد قذفت بكثير من المحاولات التى تتناول مسألة (الإصلاح) فى الإسلام المعاصر، وعلى الرغم من أنه لا تبدو بوادر توقف أو تناقص فى هذا السيل المنهمر

(١) J. Schacht; Problem of Modern Islamic Legislation in Studia Islamica, XLL, 129.

يبدئ ويعيد القول فى فكرة أو فكرتين بعبارات متباينة، إلا أننا مازلنا نفتقد صياغة واضحة متلاحمة الأجزاء لهذه الأفكار فيما نشر، ويصرف النظر عما يخفيه هذا القناع فى أعماق اللاشعور، فإن اقتراح (إصلاح) الإسلام إذا أخذناه بظاهره يمثل محاولة أخرى لتغيير وجهة نظر المسلم عن الإسلام ولجعل الإسلام أقرب بقدر الإمكان إلى المسيحية، أو إلى الصورة البروتستنتية إذا شئنا تعبيرًا أفضل!!

وإذا تركنا جانب المدنية والحضارة والثقافة، فإن للإسلام بالضرورة مجالين: العقيدة والشريعة، والأولى بالطبع محكمة جلية لأفهام العالم كله وليست معرضة لتغيير، أما شريعة الإسلام فهى مستمدة من الوحى ومن نصوص السنة التى وردت خلال التجربة البشرية للحكم. ومن هنا كانت هذه الشريعة منذ أيام الخلافة الأولى حتى وقتنا الحاضر معرضة للتفسير واختيار ما يلائم نظم الإدارة ويوافق الفن القانونى المعروف والتجربة، وما يقابل فى الأيام الأخيرة التشريع المدنى، فأين يريد دعاة (الإصلاح) أن يقحموا إصلاحهم، وما هو بالضبط الذى يريدون أن يقحموه، ولأى غرض من الأغراض؟!

نحن لا نريد أن نروغ إلى تفصيلات فرعية، ولكن ينبغى أن يتضح لكل ذى علم صحيح بالإسلام أن الإصلاح بمعناه المفهوم لا يمكن أن يتسرب إلى مذاهب الاعتقاد دون أن ينقص من سلامتها أو يقضى عليها تمامًا. ومن هنا لا يبدو محتملاً أن يقبل مفكر مسلم أن يساند مثل هذه المشروعات، ولو فعل لما وجد مرجعًا دينيًا مسؤولاً يتسامح معه فيما ذهب إليه، ومن يؤيد من علماء المسلمين مثلاً صورة جديدة فى عرض الإسلام تذهب إلى تطعيم كيان العقيدة الإسلامية بالاعتقاد المسيحى فى الخطيئة الأصلية original sin أو التجسيد incarnation!

وللتمثيل على الاضطراب والتخطيط فى هذا (الإصلاح) يكفى أن نتبصر حقيقة الازدواج المتناقض فى منزع دعاة هذا الإصلاح من غير المسلمين: فهم بينما ينعون على الإسلام الجمود حتى إنه لا يقبل من التغيير فى نظامه إلا قليلا، إذا بهم حين تستحدث تغييرات بعيدة المدى لا يتركون فرصة إلا ويبرزون أن مثل هذه التغييرات فيها تقويض للشريعة، والجماعة الإسلامية تستطيع الحكم فى مثل هذا الأمر بصورة أفضل قطعًا، مستهدية بمبدأين فى هذا السبيل: أن يكون التغيير متفقًا مع

المصلحة بالنسبة للجماعة، ومع مبادئ العدالة. حقيقة تثور اعتراضات على مثل هذا التغيير حتى فى زمننا، والاختبار الضرورى لسلامة التغيير الحادث قديمًا وحديثًا، هو رضاء الرأى العام فى الجماعة وموافقة العلماء فى الإقليم الذى يجرى فيه التغيير. وهناك شواهد طيبة أن هذه السلطات مازالت الآن كما كانت من قبل تبدى مرونتها وسماحتها للتوافق مع الأحكام المستحدثة.

وأول مستشرق ناطق بالإنجليزية ينتج ثمارًا فكرية للإسلام فى العصر الحديث، وما فتئت أفكاره تعمل على تزويد من يأتون بعده بالأصول التى تحتاج إلى التوسع، يوجه عنايته كى يتوقى أن يقحم نفسه متطفلاً على جماعة المسلمين أو يجعل نفسه وصيًا عليهم حاميًا لهم. فكل ما يفعله المسلمون، أو ما سوف يفعلون فى نهجهم العقيدى أو الشرعى يرده المستشرق الرشيد إلى أهله من العلماء[1]، أما الباحثون الذين لا تكون لهم مثل هذه العناية فهم يقفزون من الدراسة الوصفية إلى اقتراح العلاج وإصدار التنبوءات عن المستقبل. ولا يستطيع الغريب على نظام دينى أن يتخلى عن أن يكون لطيفًا - فهذه صفة أولية لابد منها كى يتوقع من الناس أن يسمعوه أو يحترموه!

إن الإدراك الدينى تجربة روحية حدسية intutive، ولا يمكن التقاطها بالمناهج التحليلية والنقدية. وهؤلاء الذين يكونون خارج نظام دينى لا يمكنهم اقتناص دلالة التجربة التى يمارسها من يعيشون داخل هذا النظام[2]. إنه شىء لا يمكن تعلمه من الكتب. ومن هنا كان الخلط فى طبيعة أهداف «الإصلاح» المزعوم بين دعاته من غير المسلمين. ومن هنا كانت الصعوبة التى يواجهها من يعيشون داخل الجماعة الدينية فى تفسير دينهم لمن يطلون عليهم من الخارج ويحاولون عبثًا تقدير لحنها الأساسى فى أغواره العاطفية والحدسية البعيدة، مما يغفل عنه المستشرقون الذين يستمدون - معرفتهم بالإسلام أساسًا من الكتب.

---

(١) J. N. D. Anderson. Islamic Laws in the Modern World, New York, 1959, 98.

(٢) انظر مثلاً P. Ferris The Church of England London 1962 نقلاً عن Observer Oct. 7. 1962. «إن الذى ينظر من الخارج متسائلاً عن الكنيسة يأتيه الجواب غالبًا بأنه لا يستطيع أن يفهمها ما لم يكن فى داخلها حتى وإن كانت تعتبر مثل هذه المحاولة من جانبه أحيانًا تطاولاً غير مستساغ. impertinent».

وفى الحالات النادرة التى يناقش فيها هؤلاء معالم الإسلام مع علماء المسلمين أنفسهم فلما تكون النتيجة مرضية، فالمسلم يفترض أن المستشرق ينتهى إلى اتهامه بالجهل دون تبرير معقول! ثم إن هناك صعوبات اللغة نفسها، وقليل من المستشرقين من يستطيع إدارة مناقشة بالعربية (أو الفارسية أو التركية) أو المضى فيها. ولايزال المسلمون الذين تمكنوا من لغة أوربية يعانون نقصا، فإنهم قلما يستطيعون أن يبادروا المستشرق فى استعارة الإشارات الثقافية اللماحة فى تلك اللغة، فضلاً عن النفاذ إلى تراثها الكلاسيكى والاستحواذ عليه واستعماله.

هذه بعض العقبات التى تجعل اقتراحات المستشرقين إما غير مقبولة أو سيئة الأثر. وبينما كان كاتب هذه السطور يجمع المادة اللازمة لدراسته كانت الكتابات المنشورة التى تضمنتها قد درست من المستشرقين والباحثين المسلمين والعرب فى أوربا وأمريكا والعالم العربى. والمثال المناسب للمقام هنا هو رأى باحث يجمع بين التعليم الدينى الإسلامى والتعليم فى جامعة غربية. أن يقول: «لقد عرفت بعض المستشرقين الذين يتعاملون مع الدارسين المسلمين فى استعلاء وتعاظم. وكان هؤلاء المستشرقين إذا ما تساءلوا عن مسألة إسلامية، فكأنما يعلنون ضمنًا أنهم يعلمون كل شىء عنها سلفًا، فى حين أنهم يأخذون بوجهة نظر أخرى مع قليل من التبصر الحقيقى والنفاذ إلى الأعماق»!

وفى صدد موضوع «الإصلاح» نبدى ملاحظة بنغمة أو بأخرى. وينبغى ألا يفترض على أية حال أن مثل هذا الحنق الذى انعكس على السطور السابقة إنما تسبب عن مصادمات اجتماعية أو أكاديمية سطحية. وربما يخاطر المرء بالقول بأنها لا تنجم ابتداء من بواعث دينية مباشرة. ولكن التاريخ المشئوم للدراسات الإسلامية التى خرجت إلى الوجود من سلالة الجدل والتبشير، وميراث الصراع العسكرى الطويل بين عالم المسيحية والإسلام، لايزال كلاهما يلعب دوره بصورة شعورية أو لا شعورية فى تحديد اتجاهات المسلمين. هناك شعور أحدث تاريخًا وأكثر مرارة أن أفكار «الإصلاح» جاءت مع النفوذ السياسى المسيحى على أجزاء كثيرة من أرض الإسلام، أو نتيجة لهذا النفوذ[1]. ولقد كان اللقاء المبكر بين الإسلام والفكر الإغريقى شيئًا مختلفًا. فقد كان الإسلام يحكم فى مقام رفيع وكان هو السيد

(١) أحمد أمين: يوم الإسلام ص ٢١٥.

صاحب الرأى والتـمييـز، يقبل أو يرفض ما يشـاء من العناصر الأجنبيـة، أما فى الزمن الحديث: فإن تمييز الإسلام لما يقبله أو يرفضه يمليه أو يدفع أو يحد منه أفراد أو هيئات أجنبية غير إسلامية يشك المسلمـون أحيانًا فيها ويرون أنها تتصرف وفقًا لما تمليه المصالح الأجنبية.

وقد يفسر هذا لماذا لا ينال «الإصلاحيون» من ذوى التـوجيه أو التشجيع الغربى أى نجاح فى استمالة تفكير المراجع الإسـلامية المسؤولة. وإنما هم ينالون الإعجاب أساسًـا من المستشـرقين وأشياعـهم. ومن ناحية أخـرى كثيـرًا ما يدفع بالرجعـية المصلحون الأصلاء من أبناء الأمة الذين قد يكون لديهم شـىء جوهرى له قيمته، وكذلك لا ينـال كل الرضا من اختـاروا طريقًا وسطًا يقـترب قليـلاً أو كثـيرًا من أسلافـهم فى العصر الذهبى، وإنما يقال عن هـؤلاء إنهم لم يذهبوا المدى الكافى! ولكن هؤلاء لا يستطيعـون أن يذهبوا أبعد من ذلك. فإن العلمـاء فى كل العصور لديهم موهبة فطرية جـماعية تشير لهم إلى أى مدى يذهـبون، وماذا يرتضون من حلول التوفيق؟ وأيـن يصمدون تثبيـتًا لنظامهم؟ ولقد كـان محمد عبـده وتلاميذه أصحـاب مثل هذا التوفيق، ولم يكـن تـزمت الوهابية Puritonism فى طـرف أو تحرير بعض المسلمين الهنود Liberalism من الطرف الآخـر شيئًـا مقـبولاً عند هؤلاء أو عند الجماعة الإسلامية فى جملتها.

ومن أجل ذلك كانت الضـرورة الأولى اللازمة لأى تغييـر أو إصلاح ناجح أن يتبع من داخل الأمة، ويصدر منها ابتـداء فى استقلال عن أى سيطرة أو إيحاء من جهة أجنبية. ومنذ التـجديد التمهيدى الأصيل فى الإمبراطورية العـثمانية فى نهاية القرن الثامن عـشر فى عهد سليم الثالث، ومنذ جـهود مفكرى المسلمين فى الهند للملاءمـة بين الشريعة الدينيـة وبين واقعيـات السيادة غيـر الإسلاميـة تحت ضغط الإجراءات الـقانونيـة البريطانيـة فى الهند، استـمر التـغيـير فى تطبـيق الشريـعة الإسلامـية إلى وقتنا هذا، ولربما تزايدت سـرعة التغـيير نتـيجة لاستـرجاع الأمم الإسلامية سـيادتها أو نيلها الاستقلال، لكنهـا لم تبطئ قط، وإذا كانت المعارضة قوية للتغيير فـى مبدئه، فإنما كانت تمليها إلى حد بعيد الخشـية من تعرض الشريعة المقدسة للخطر فى أيدى الأجانب غير المسلمين، ولقد تزايد التغيير ولكن تضاءلت

المعارضة. وقد يكون من أسباب ذلك الشعور بالضمان فى ظل الحكم الإسلامى وغلبة الواقعية ونزعة التوفيق على المراجع الدينية المسؤولة.

إن من الخطأ إذن المضى فى تأكيد القول بجمود الإسلام وعدم قبوله للتغيير. فإذا ما تجاوزنا دائرة العقيدة الأساسية وبعض المسلمات الدينية المحدودة، فإن الإسلام قد واجه تغييرات ثورية فى هذا الجزء من نظامه الذى يوجه حياة الفرد والجماعة. ومع ذلك يكتب لاهوتى مسيحى يتميز بأنه يعد مبشراً مستنيراً أو مبشراً له دراية بالإسلام فيقول منذ قليل[1]: «إن على الإسلام إما أن يعتمد تغييرا جذرياً فيه. أو أن يتخلى عن مسايرة الحياة»! ومن الصعب تبين ما يعنيه ذلك بالضبط. ولكن فى ضوء ما سلف من مناقشة يكون أحد شطرى هذا التقرير غير مقبول، أما شطره الثانى فيبدو وكأنه دعوة يوجهها إلى المسلمين غريب عنهم بشأن ما يفعلون فى دينهم! وإلى هذا الحد يصل التخليط بدعاة (الإصلاح)[2] إن القوم لا يتبصرون فى المضمون والتفاصيل. فهم يتورطون فى التعميمات المبهمة التى لا تثبت للامتحان.

(١) K. Graag. The Cal of the Minaret New York, 1956.

(٢) انظر مثلاً تعبيراً مضللا آخر «إصلاح دين الإسلام Reform of the religion Islam الذى يستعمله G. G. Adams Islam and Modernism in Egypt, Oxford 1933, 2, 187.

محتويات الكتاب

الموضوع — الصفحة

- الطبعة الثامنة ٥
- تقديم الطبعة الرابعة ٧
- تقديم الطبعة الثالثة ٩
- تقديم الطبعة الثانية ١١
- تقديم الطبعة الأولى ١٥

فاتحة

(٢١ - ٢٩)

الاستعمار الغربى يتسلل إلى العالم الإسلامى ٢٣
العالم الإسلامى فى نظر الغرب المستعمر ٢٤
وسائل الاستعمار فى إضعاف المسلمين فى إسلامهم ٢٨

الباب الأول

اتجاه حماية الاستعمار، أو الاتجاه الفكرى المالئ

(٣١-٥٦)

مفكرون من المسلمين مع الاستعمار ٣٣
حركة أحمد خان ٣٣
المذهب القـاديانى ٣٨
الأحمدية ٤١
المستشرقـون والاستعمار ٤٣
النزعة الأولى: إضعاف القـيم الإسلامية ٤٣
النزعة الثانية: تمجيد القيم الغربية المسيحية ٥٤

الباب الثانى

اتجاه مقاومة الاستعمار الغربى

(٥٧-١٤٩)

مقاومة مزدوجة ٥٩
محمد جـمال الدين الأفغانى ٦١

obeikandl.com

مقاومة جمال الدين للاستعمار الغربى والفكر الإسلامى المعاون له ٦٨
الرد على الدهريين فى الهند ٦٨
الدين ضرورة للمجتمع ٦٩
أضرار المذهب الطبيعى المادى على المجتمع ٧٠
الدين الإسلامى ٧٢
محاربة الاستعمار البريطانى ٧٣
جمال الدين وابن تيمية ٨٣
تقدير المستشرقين لجمال الدين ٨٥
محمد عبده ٩٥
أهداف تفكيره ٩٥
محمد عبده فى طريق جمال الدين ٩٦
الشيخ محمد عبده القروى المصرى الأزهرى ٩٨
الشيخ محمد عبده المفكر ١٠٠
الجانب القومى ١٠١
الجانب الاجتماعى ١٠٥
الروح الجماعية ١٠٦
وجوب مساهمة الأغنياء فى تعليم الأمة ١٠٨
التعليم الدينى يحتاج مسلكًا آخر ١٠٩
عيوب المجتمع المصرى ١١١
ضرورة إعادة توزيع الثروة فى الأمة ١١٤
جانب الاعتقاد ١١٦
مشكلة الجبر ١١٦
فى صلة العقل بالوحى ١٢١
جانب التربية والتوجيه العام ١٢٣
محاربة الحزبية المذهبية التقليدية ١٢٤
محاربة سلطة الكتاب الموجه وهو كتاب المتأخرين ١٣٣
إحياء كتب الأوائل ١٣٤
إصلاح الأزهر ١٣٥

obeikandl.com

تقدير المستشرقين لمحمد عبده ١٣٩
محمد عبده والسير أحمد خان ١٤٠
محمد عبده ومحمد بن عبد الوهاب ١٤٣

الباب الثالث

التجديد فى الفكر الإسلامى

(١٥١ - ٣١٧)

اتجاه الفكر الإسلامى منذ بداية القرن العشرين ١٥٣
طابع التفكير الغربى ١٦١
أثر الحملة الصليبية فى تشويه الإسلام ١٦٣
المجددون فى مصر ١٧٣
بشرية القرآن ١٧٤
صورتان ١٧٤
الصورة الأولى ١٧٤
الصورة الثانية ١٧٩
فكرة كتاب الشعر الجاهلى ١٨٠
رأى القرآن فى كتابى المذهب المحمدى والشعر الجاهلى ١٨٩
الإسلام دين .. لا دولة ١٩٢
الدين والدولة فى الإسلام ١٩٢
الإسلام وأصول الحكم ٢٠٢
الإسلام دين لا دولة ٢٠٣
ليس فى الإسلام سياسة، وما فيه من سياسة لا يتصل بالدين ٢١١
الزعامة النبوية ٢١٣
خصائص الزعامة النبوية موقوتة بوقتها ٢١٦
وحدة الدين لا وحدة الحكومة ٢٢٠
الدين خرافة ٢٢٢
المذهب الإسمى ٢٢٣
المذهب التجربى ٢٢٦
ملخص هذين المذهبين ٢٣٠

obeikandl.com

خرافة الميتافيزيقا ٢٣٣
الدين مخدر ٢٤٣
الصراع بين الدين والعقل والحس فى تاريخ الفكر الأوربى ٢٤٣
سيادة النص أو الدين ٢٤٣
سيادة العقل ٢٤٥
بلانش ٢٤٧
فيشته ٢٤٨
مبدأ النقيض ٢٤٨
الجماعة الإنسانية الخاصة والعامة ٢٥١
هيجل ٢٥٢
الدولة والله، الغاية الأخيرة للعقل ٢٥٤
بين فيشته وهيجل ٢٥٥
سيادة الحس ومذهب الوضعية ٢٥٩
كومت ٢٦٢
فيرباخ ٢٦٥
اشتين تال ٢٦٧
ماركس ٢٦٨
الصراع بين الطبقات ٢٦٩
الدين مخدر ٢٧٢
المذهب المادى التاريخى ٢٧٤
الماركسية كنظام سياسى للجماعة ٢٧٦
قيمة الماركسية كمذهب فلسفى ٢٧٧
ملاحظات على الفلسفة الماركسية ٢٨٠
الماركسية والدعاية الشيوعية ٢٨٧
الماركسية والتجديد فى الفكر الإسلامى ٢٩٣
عناصر الدعاية الشيوعية فى التجديد فى الفكر الإسلامى ٢٩٦
ثبات القيم المعنوية ٢٩٧
تحرير المرأة ٣٠٣

obeikandi.com

العمل البدنى ٣٠٤
التفسير المادى الاقتصادى للتاريخ ٣٠٧
إيمان بحيوانية الجسد وكفر بإنسانية الإنسان وبخالقه ٣٠٩
هذه هى الماركسية ٣١٠
الشيوعية إفلاس فى الجماعة ٣١١
الماركسية تنتظر الشيوعية ٣١٤
الإسلام ٣١٤

الباب الرابع
الإصلاح الدينى
(٣١٩ - ٣٨٤)

حقيقة الإصلاح الدينى فى الإسلام ٣٢١
محمد إقبال ٣٢٥
دوافع الإصلاح ٣٢٦
المسلم المعاصر ٣٢٦
الإنسان الأوربى المعاصر ٣٢٨
طبيعة الإسلام ٣٢٩
إصلاح الفكر الدينى ٣٣٢
نظرة الإسلام إلى العالم الواقعى ٣٣٣
لا انفصالية ولا اتحاد فى الوجود ٣٣٦
التجربة فى مجال الدين والعالم ٣٣٧
وحدة الذات الإنسانية وخلودها ٣٤٤
الذات الكلية ٣٥٢
الإسلام فى توجيه الإنسان ٣٥٩
مبدأ التغير فى العالم الطبيعى ٣٦٠
المجتمع الإنسانى ٣٦١
مبدأ الحركة فى الإسلام ٣٦٣
ختم الرسالة المحمدية ٣٦٥
الاجتهاد ٣٦٧

obeikandl.com

محمد إقبـال فيما أرى ٣٦٨
يلاحظ على تفكير إقبال ٣٧٢

الباب الخامس

الإسلام غدا

(٣٨٦ - ٤٠١)

مواجهة الإسلام للصليبية والماركسية ٣٨٧
ما أصاب الإسلام من المواجهة ٣٨٧
ما أفاد الإسلام من المواجهة ٣٨٨
الإسلام فوق الزمان والمكان ٣٩٠
الفراغ فى الحياة التوجيهية العامة ٣٩٣
الأزهر ٣٩٥
الأزهر فى تنظيمـه الجديد ٣٩٩

الباب السادس

ملحقات: المبشرون والمستشرقون وموقفهم من الإسلام

(٤٠٣ - ٤٨٢)

مقدمة ٤٠٥
المستشرقون المعاصرون ٤٢١
المتطرفون من المستشرقين ٤٣٣
بعض الكتب المتطرفة ٤٣٩
كتاب «مجد الإسلام» لجاستون فييت ٤٤٣
المستشرقون الناطقون بالإنجليزية ومدى اقتـرابهم من حقيقة الإسلام والقومية العربية «للأستاذ طيباوى» ٤٥٥
محتويات الكتاب ٤٨٣

obeikandl.com